هل تريد
النعيم أم الجحيم؟

مقتطفات من كتاب

"وما خلقتُ الجنَّ والإنسَ

إلا ليعبدونِ"

راجية الرحمن أم عمر

صدقة جارية على روح جدتي

اللهم ارحمها وأسكنها فردوسك الأعلى

الاثنين 18 ربيع آخر 1438 هـ

========

حق النسخ متاح لكل مسلم

بشرط أن يُوزّع مجانا ولايُباع

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم، والصلاة والسلام على خير المرسلين، وعلى آله وصحبه الأطهار الذين علموا وعملوا، ثم أسلموا أرواحهم على خير ما تسلم، وعاشوا الإسلام كما لم يعشه أحد، وملئوا الدنيا بتقواهم وهداهم وأنوارهم، فارزقنا اللهم صحبتهم في جنان رضوانك. والحمد لله حمدا كثيرا طيبا وافرا مباركا فيه، كما ينبغي لجلال وجهك ولعظيم سلطانك.

وسبحانك، سبحانك، سبحانك، لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم.

ثم أما بعد.....

فإننا والله نمر اليوم في ممر ضيق، سيولد بعده الإسلام ميلادا عظيما، شئنا ذلك أم أبينا، ولكن الممر ضاق وضاق، حتى كاد أن يخنق من فيه من الصالحين.

إن الإسلام اليوم ضائع بين بنيه، فأينما نظرت لا تجد إلا عاص أو غافلا أو لاهيا، أو عدوا لدودا يكيد للإسلام كيدا ويتربص به الدوائر، أو مؤمنا يتوارى بإيمانه من عصر يُجرَّم فيه الإيمان ويُطارَدُ المؤمنين.

أو منشغلا بنفسه وماله وولده، ذاهلا بهم عن كل شيء فلا يهمه من أمر الإسلام ولا المسلمين شيء.

لقد تبدلت المفاهيم، وصار الإسلام غريبا، وصار المسلمون غرباء، وصارت المعصية سمة هذا العصر، بل ومدعاة للتباهي والتفاخر، وسببا لأن ترفع رأسك وتقول هاأنذا، ولكن حذار...،

فكل هذه الصور الزائفة المشوهة سرعان ما تختفي، حين تقبض الأرواح، وتسكن الأجساد بعد حركة، وتقفل صفحة الدنيا لتفتح صفحة الآخرة، وتدخل قبرك لأول يوم، وأول ساعة، وأول لحظة، لتجد مالم يخطر لك على بال.
فاليوم أكتب إليك لأذكرك بهذا الموعد، ماذا أعددت له؟ وماذا تحب أن ترى فيه؟
"يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ {5} إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ {6} " / سورة فاطر.

وكما جاء في تفسير ابن كثير"وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ": هو الشيطان، قاله ابن عباس –رضي الله عنهما– أي لا يفتننكم الشيطان، ويصرفنكم عن اتباع رسل الله وتصديق كلماته، فإنه غرار كذاب أفاك، ثم بين تعالى عداوة إبليس لابن آدم فقال: " إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا" أي هو مبارز لكم بالعداوة فعادوه أنتم أشد العداوة، وخالفوه وكذبوه فيما يغركم به"إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ" أي إنما يقصد أن يضلكم حتى تدخلوا معه إلى عذاب السعير فهذا هو العدو المبين.
وقال تعالى: "أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا {50}"سورة الكهف

حقيقة العبودية
(الإسلام منهج حياة)

لقد قالها الله جل وعلا كلمة واضحة لا جـدال فيهـا ولا اختلاف: " وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُـدُون {56}"سـورة الـذاريات تلك الكلمة العظيمة التي تعلن للبشرية قاطبة سبب وجودهم فـي الحياة. نعم أيها العبد، وأيتها الأمة... لم نخلق لنأكل ولنشرب. لم نخلق لنلهو ونلعب. لم نخلق لنحصـل علـى الشـهادة ونـتزوج وننجب ونعمل، ثم نهرم ونموت!

لم نخلق لنفعل في حياتنا ما نشاء، بل خلقنا من أجل الخالق، من أجل أن نعبده وحده، مصداقا لقوله تعالى: "أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ {115}" سورة المؤمنون.

فلسنا ملك أنفسنا، وإنما نحن عبيد لملك عظيم.
والله لم يأت بنا إلى الدنيا، ولم يمدنا بأسباب تيسير الحياة فيهـا: من خلق السموات والأرضين، وكل ما فيهما من هـواء وبحـار ومعادن ودواب و أشجار وثمار وشمس وقمر.....إلخ، ولم يهبنا السمع والبصر والنطق والقوة والعقل والبدن واليدين والرجليـن والصحة والمال والأهل والسكن والعلم... وغير ذلـك، إلا لنفـس الهدف... لكي نعبد خالقنا، وتلك النعم جميعـا مـاهي إلا مجـرد معينات علـى العبـادة.

* ثم ماذا فعل الناس بعد كل ذلك العطاء؟! أخذ الإنسان نعم الله، وعاش في أرضه وتحت سمائه، ونسي المنعم ، ونسي رسالته في الحياة، كما أنه نسي المصير الذي سيصير إليه عما قريب، فعاش حياته كما يريد هو، لا كما يريدها خالقه و رازقه والمنعم والمتفضل عليه. فأخذ يأكل ويشرب، ويلهو ويلعب، وينكح وينجب، ويدرس ويعمل، ويصنع ويتاجر، وعاش من أجل ذلك، وعاش من أجل الدنيا!

والأدهى والأمر أن الإنسان استخدم نعمة الله عليه في مبارزته بالمعاصي، فأكل رزقه وعاث في الأرض فسادا، وأخذ القوة التي أمده الله بها ليعصي أمره، ويقترف المنكرات، وكأنه خالد فيها، لن يموت ولن يُبعث، أو يُحاسب على ما تقترفه يداه!

ولكن حذار من الاستدراج، وحذار من قوله تعالى: "ذَرْهُمْ يَأْكُلُواْ وَيَتَمَتَّعُواْ وَيُلْهِهِمُ الأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ {3}" سورة الحجر. إن الله بمنه وجوده وكرمه لم يُحرّم علينا التمتع بالطيبات، وبما أحله لنا من المطعم والمشرب والملبس والمنكح والذرية والمال واللهو الطيب المباح، ولكننا لم نُخلق لنتمتع، وما يرفضه الشرع والعقل أن تدور حياتنا في فلك تلك الأشياء، وأن نعيش لأجلها، وأن ننشغل بها عن الخالق، وأن تنسينا النعمة المنعم.

إنها والله بئس الحياة.
وذاك المفتون الذي يعيش تلك الحياة، إنه لفي سكرة، كما قال تعالى عن أهل الانشغال بالدنيا عن الآخرة: "لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي

سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ {72}سورة الحجر، ولا يفيق منها أكثرهم إلا في تلك اللحظة العصيبة الرهيبة عند الموت، فينتبه بعد أن يفوت الأوان، ويفاجأ عند دخول قبره بالأهوال التي خلّفها وراءه، ويفزع بالسؤال الذي يرج بدنه: من ربك؟ ما دينك؟ من النبي الذي بعث فيكم؟وقتها فقط تبين الحقائق، وتنكشف الضمائر والسرائر، وتظهر حقائق الأعمال.

احذر ياعبد الله فمن عرف الجواب في الدنيا، ولم يعمل بما علم، فلن ينفعه علمه بشيء في ذلك اليوم، فيصير في القبر جاهلا لتلك الحقائق الثابتة. فيقول : ها ها، لا أدري.
نعم قد كان لايدري في الدنيا. وكان كل شيئ فيها يشغله عن ربه، وعن ذكرالله، وهاهو... اليوم يغفل عن ذكر اسم ربه كما غفل عن أمره في الدنيا، كما قال تعالى: {وَجَاءتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ {19} وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ {20} وَجَاءتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ {21} لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ {22}} سورة ق.
نعم إنها الحقيقة، ما خلقت لتفعل ما تشاء، كيفما تشاء، بل عما قريب ستموت وتحاسب وتُسأل عما تفعل: أكان ما فعلته لله، وعلى نهج رسول الله صلى الله عليه وسلم، أم كان للنفس والهوى والشيطان والدنيا؟ أكان للزائل الفاني، أم للخالد الباقي؟ {قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ {162} لاَ شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَاْ أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ {163}} سورة الأنعام.

فإن كنت ممن يريد رحمة الله، فقد حدّد الله لنا من سيرحمهم: {وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللّهُ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ {71}} سورة التوبة.

وإن كنت تريد أن تحيا على هواك، فقد حذّرك الله تعالى من الهوى وأهله ومصيره البائس فقال تعالى: {وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ {26} سورة ص

فإن أبيت إلا الهوى، فقد أبيت إلا النار، كما قال تعالى: {فَأَمَّا مَن طَغَى {37} وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا {38} فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى { 39} وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى {40} فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى {41} } سورة النازعات.

==========

- لديك في الحياة رسالة، تعلم ما هي؟

إنها عبادة الله جل جلاله، قال تعالى: "أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ {115}"سورة المؤمنون.

نعم لقد حسب أكثر الناس ذلك، وغفل عن سبب خلقه وعن مصيره المحتم، وعاشوا وكأنهم خالدون لن يموتوا ويبعثوا ويحاسبوا، فساءت دنياهم وأخراهم، وضاعت رسالتهم بين حطام الدنيا المتناثر، وظنوا أن الدنيا ستنفعهم عند رب البرايا، ونسوا أو تناسوا قول الله جل وعلا: { لن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ

يَـــوْمَ الْقِيَامَـــةِ يَفْصِـــلُ بَيْنَكُـــمْ {3}} ســـورة الممتحنـــة {يأيها الإنسان ما غرك بربك الكريم؟} منذ عهد قريب كنت نطفـــة في رحم أمك، وعما قريب ستصير جسدا خاويا يأكله الدود تحـــت التراب.

والأدهى من ذلك أن بينهما عمر ما أقصـــره، فكمـــا جـــاء فـــي إحصائية أجنبية نقلتها بتصرف من كتاب "فن إدارة الوقت" لعبـــد الله آل سيف: (إذا افترضنا أن عمرك ٧٠ سنة، فأنت تنام ثلـــث عمرك أو ٣٣% منه، هذا إن لم يزد معدل نومـــك اليـــومي عـــن ثماني ساعات – أي بمعدل ٢٣ عاما من عمرك تضيع في النـــوم – أما العمل والدراسة: فإنك تقضي فيهما حوالي ســـبع ســـاعات يوميا، أي بمعدل ٢١ عاما، وهو ما يساوي ٣٠% من العمر، أي الثلث الثاني من العمر. وأما الثلث الثالث فإنه يقضى معظمه فـــي قضاء الحاجات الطبيعية : حيث يستغرق الأكل والشـــرب بمعـــدل ساعة ونصف يوميا – هذا إن لم يزد عن ذلك – وهو ما يساوي أربع سنوات ونصف، بمعدل ٦,٤% من العمر، أمـــا إذا أضـــفنا الأعمال المعتادة: مثل المنزل، النزه، اللقاءات الودية والاجتماعية، التنقلات والمواصلات، الاتصالات الهاتفية، فسنجدها تساوي ٩% من العمر – هذا لديهم بالطبع – ولكنها لدينا تلتهم الثلث البـــاقي كله، إذن يكون المجموع ٦١ سنة، أي ٨٧% مـــن العمـــر، وإذا افترضنا أن العمر لازال فيه تسع سنوات متبقية، وهي ما تقدر ب ١٢,٨٥ %من العمر، ومع حذف فترتي الطفولة والمراهقة مـــن العمر فكم تبقى بعد ذلك؟!

وأين عمـــرك؟

ومع زيادة... الأنشطة اليومية من النوم والأكل والنـــزه والتنقلات

والاجتماعات العائلية ولقاءات الأصدقاء والجيران وغيرها، فكم تبقى؟!).
أما التحقق من الكارثة فإنه يتم بعد حذف العمر الضائع مع (التلفاز – والإنترنت – وألعاب الحاسوب(الجيمز) والملاهي والنوادي والمقاهي والموبايلات والعلاقات الغرامية) والكثير والكثير من أصناف التفنن في قتل الوقت، فكم تبقى؟!
ومع حذف أوقات الانتظار في عيادات الأطباء، والجامعة وشراء الأشياء، والأوقات البينية كلها، فكم تبقى؟
ومع حذف فترات المرض والكسل والملل والاكتئاب، فكم تبقى؟

* ومع ما تبقى – إن تبقى، فأين الله في باقي حياتك؟! أين الله وسط هذا الكم الهائل من الشواغل؟!

* ما أهونها، وما أقصرها من حياة! لذا "نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ" [رواه البخاري: ٦٤١٢]. ثم تأتي يوم القيامة لتُسأل عن عمرك، كما قال تعالى عن يوم القيامة: { قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ {112} قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلْ الْعَادِّينَ {113} قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ {114}} سورة المؤمنون، ثم يأتي بعدها السؤال الذي يهز الأفئدة الأبدان: "أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ {115}"سورة المؤمنون.

*** هل تعلم ما حقيقة العبودية؟**

ربما قال الكثيرون: نعم، وأنا عابد لله والحمد لله. لكن وللأسف أن الحقيقة أن أغلبنا لا يعرف المعنى الحقيقي للعبودية، وبالتالي فهو لا يعيشها كما ينبغي، وإنما يحيا في وهم العبودية الذي يزعمه، فالله – سبحانه وتعالى لا يعبد إلا بما أمر وما شرع، وعلى نهج حبيبه المصطفى صلى الله عليه وسلم.

وطريق العبودية الصحيح هو: العلم بدين الله، والاعتقاد الصحيح، والعمل الصالح كما شرعه الله ورسوله، والدعوة إلى الله، والصبر على ذلك كله. كما قال تعالى: {وَالْعَصْرِ {1} إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ {2} إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ {3}} سورة العصر.

فالعبودية هي الطاعة بأوسع مفهوم لها، فليس العابد هو من يصلي ويصوم ويزكي ويحج فقط، فلربما يفعل كل ذلك ويكون من أعصى الناس، وأبعدهم في حقيقة أمره عن طاعة الله ورضوانه، وقد يصير حصب جهنم تُسعّر به النار يوم القيامة. نسأل الله السلامة.

العبودية بمعناها الشامل الواسع: أن تسير على نهج الله، على الإسلام كما هو، تطيع الله فيما أمر، وتنتهي عما نهى، وتأتمر بأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتستن بسنته، وتسير على هديه صلى الله عليه وسلم، هي أن تنقاد لدين الله كما هو.

جزاء الطائعين

إن الله الذي خلقك ورزقك وأنعم عليك وتفضل. هو الله الذي يأمرك وينهاك، وبديهي أن هذا حقه، وقد طلب منك أن تطيعه في شرعه الذي هو خير كله لك، وفيه سعادتك وسرورك في الدنيا قبل الآخرة.

ثم هو يجازيك على الطاعة البديهية التي يفرضها عليك كونه ربا لك، ويجازيك على الشرع الجميل الذي يحميك به من كل شر، يجازيك على ذلك الجنة، بل والخلود فيها حياة أبدية، جزاء عمل سنوات قصيرة لاتساوي شيئا بمقياس الأخرة.

أتعرفون ماذا في الجنة؟

في الجنة مالا عينٌ رأت ، ولا أذنٌ سمعت، ولا خطر على قلب بشر. نعم . إنها جنة النعيم الذي لايوصف، ولا حتى يخطر على عقل إنسان ، فما رأت العين مثله أبدا، ولا سمعت الأذن عن مثل بعضه. كما قال تعالى عنها: { وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ {71}} سورة الزخرف . فهذه الآية المجملة تصف الجنة بأجمل وأدق وأشمل عبارة، وتحمل المعنى الواسع لكل ما في الجنة.

هذه الآية الكريمة تؤكد أن كل المنغصات قد انقطعت عن صاحب النعيم، فهو لن يشتهي شيئا إلا ويجده ماثلا بين يديه، ولن يتحسر أبدا بفقد غال، وستسعد عينيه برؤية أجمل المناظر، بل وسيخلد في كل ذلك. فلن ينقطع عنه النعيم، ولن يفنى هو ويدع ذلك النعيم

أبدا.

هل تعلمون ما هو وصف الجنة؟

قبل أن أشرع في الوصف: أنبهكم أن الجنة لا تُوصف، ولا يستطيع أحد من البشر حتى أن يتخيل جمالها المبهر، وإني والله أخشى أن أصف هذا الجمال فأبخسه حقه وأهوِّن من شأنه، ولكن حسبي الله هو يعلم ما أتمناه، وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيبُ.

{ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} سورة الأعراف/43

إنها أرض الأحلام، حيث ينطلق الخيال بلا حدود ولاقيود. فحين يقترب أهل الجنة من أبوابها، وقد تبدل شكلهم لأحسن ما يكون، كما في حديث مسلم: "أخلاقهم على خلق رجل واحد. على طول أبيهم آدم ستون ذراعا"، وقد صار عمرهم في الثالثة والثلاثين، وعلى وجوههم من البهاء والنور والنضارة ما يأسر لُب الناظرين.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إن أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر. والذين يلونهم على أشد كوكب دري، في السماء إضاءة. لا يبولون ولا يتغوطون ولا يمتخطون ولا يتفلون. أمشاطهم الذهب. ورشحهم المسك. ومجامرهم الألوّة. وأزواجهم الحور العين. أخلاقهم على خلق رجل واحد. على صورة أبيهم آدم. ستون ذراعا في السماء" رواه مسلم.

ثم تُفتح لهم الأبواب، ويدخلونها...، والنور يصحبهم بين أيديهم وبأيمانهم، كما قال عز وجل: **{ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**

يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ {12} } سورة الحديد، وتخطو في الجنة أقدامهم، وينطلق أول ما ينطلق منها العبير، الذي يملؤ الروح فرحا وسرورا، فطين الجنة من المسك، وملاط جدرانها من العنبر، فكيف لايمتليء الأنف من عبيرها الزكي مع أول خطوة في الجنة، بل وقبل ذلك.

وبمجرد أن تخطو قدماك في الجنة:

فياللجمال الذي تراه عيناك!! إي وربي إنها لأجمل من الخيال فيستبشر وجهك، ويتهلل من الفرح من فرط الجمال الذي تراه عيناك ، وكأنك في أجمل حلم رأيته، ولكنه في تلك المرة ليس حلما، إنما هو الواقع الجميل الذي يسحر الألباب:، فيضيء وجهك تهللا وتنفرج أساريرك ضاحكة:{ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ {38} ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ {39}} سورة عبس.

حينما تخطو قدمك في أرض الأحلام، فترى أرضها وحصباءها من اللؤلؤ، وترى أشجارها الضخمة، ذات السيقان المصنوعة من الذهب الخالص، والأوراق الكبيرة المزخرفة، والظل الوارف حتى ليسير الراكب تحتها مائة عام فلا يبلغ آخرها، كما قال ابن كثير في تفسيره: (ووصف الجنة فقال فيها شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام ولا يقطعها، ثم قال: اقرءوا إن شئتم: { وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ {30}} انتهى كلامه رحمه الله

تغرد الطيور الجميلة فوق أشجارها بأجمل الأغاني، ويعزف حفيف الشجر أجمل الألحان بما لايخطر لك على بال، ولم تسمع قط مثلها، وكأجمل من كل معازف الدنيا.

وترى ثمارها الناضجة، التي لا تنقطع ولا تمتنع أبدا، ليس من الجنة فحسب، وإنما من الشجرة نفسها، فمهما أخذت منها تعود كما كانت، قال تعالى: { لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ {33}} سورة الواقعة.

ثم تسير بنظرك في الجنة فترى شدة اتساعها وروعة تصميمها، وفضائها المترامي الأطراف، ونسيمها المعطر، ثم حيثما وليت وجهك وجدت نعيما جميلا، فهاهنا أحلى الطعام من الثمار الزاكية، والفواكه الجميلة، ولحوم الطير المشوية، كما قال تعالى:{وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ {72} لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ {73}} سورة الزخرف، وقال تعالى: { وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ {20} وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ {21 } } سورة الواقعة، ثم هاهنا أحلى الشراب من أنهار العسل وأنهار الخمر وأنهار الماء وأنهار اللبن ، قال تعالى: { مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاء غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ من لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ وَأَنْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاء حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءهُمْ {15}} سورة محمد، تقدّم لهم مختلف الأطعمة في أواني الذهب والفضة قال تعالى: {يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ {71}} سورة الزخرف، كل يوم صنف جديد غير الذي سبق وتناولوه: { كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنْهَا من ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُواْ هَـذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُواْ بِهِ مُتَشَابِهاً ...{25}} يقول ابن كثير: (يُؤتى أحدهم بالصحفة من الشيء فيأكل منها، ثم يُؤتى بأخرى فيقول هذا الذي أتينا به من قبل، فتقول الملائكة كلوا

فاللون واحد والطعم مختلف).
ثم تقلب طرفك في الجنة، فتجد من هناك أرائك الجنة المفروشة في الظل الظليل، وثمار الأشجار تتدلى عليهم وهم نائمون في ظلالها كما قال تعالى{ مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا {13} وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا {14}} سورة الإنسان، وقال أيضا جل جلاله: {عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ {15} مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ {16}} سورة الواقعة، أي منسوجة من الذهب، وفرشهم بطنت بالإستبرق، سررها مصفوفة، وزرابيُّها مبثوثة (أي بسطها فاخرة مفرقة في المجالس) كلمات القرآن/ حسنين محمد مخلوف.
ثم تنظر هناك فتجد ثياب الجنة من الحرير والسندس والإستبرق، فتذكر ثياب أهل النار المنسوجة من النار ومن القطران فتحمد الله على أن أنجاك منها، ثم تنظر في الجنة فتجد الحلي والجواهر من الذهب والياقوت والمرجان، وحتى أمشاطهم من الذهب، قال تعالى: { يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ {23}} سورة الحج، وقال تعالى: { عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ من فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا {21} إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاء وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا {22}} سورة الإنسان.
وجوههم جميلة ناضرة ناعمة من فرط النعيم والسرور، كما قال تعالى: { وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ {8} لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ {9}} سورة الغاشية، وقال تعالى:{ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا {11} وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا {12}} سورة الإنسان.
حتى رشحهم (عرقهم) فهو المسك، وأنفاسهم يُلهمون فيها

التسبيح كما نُلهم نحن النفس.
قصورها أجمل من أن توصف، فهي لؤلؤ عملاق مجوّف، وتجري من تحتها الأنهار، وطينها وكثبانها المسك، وحصباؤها اللؤلؤ والجوهر، وعشبها الزعفران، وسماؤها لا حر فيها ولا برد، ولا شمس ولا زمهرير.
الحور العين فيها جواريك وزوجاتك المطيعات، لو نظرت منهم حوراء في الأرض لأضاءتها، ولو تفلت في بحارها لتحول ماؤها المالح إلى عذب جميل، قال تعالى: { وَحُورٌ عِينٌ {22} كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ {23} جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {24 } } سورة الواقعة، وقال تعالى في سورة الرحمن: {فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌّ {56} فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ {57} كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ {58} فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ {59} هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ {60}}.
خدمك في الجنة غلمان كأنهم اللؤلؤ المكنون قال تعالى: { وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ {24}} سورة الطور، وعلى الرغم من أنك لن تحتاج في الجنة للخدم فكل ما في الجنة يخدمك، إلا أن الله أعد لك فيها خدما يسرك منظرهم الجميل، وسعيهم حولك بالأباريق والأكواب، قال تعالى: {يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ {17} بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ { 18}} سورة الواقعة، وقال تعالى: { وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا {19} وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا {20} } سورة الإنسان.
لاوقت فيها يُحصى عليك، بل الخلود أبد الآبدين، فالموت قد ذبح وانتهى أمره، فعن أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه

وسلم قال: " يُؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي مناديا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا، فيقولون: هذا الموت وكلهم قد رآه، ثم ينادي يا أهل النار فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم وكلهم قد رآه، فيُذبح، ثم يقال يا أهل الجنة خلودٌ فلا موت، ويا أهل النار خلودٌ فلا موت، ثم قرأ: { وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ {39}} " رواه البخاري ومسلم.

لا نوم فيها ولا شبع ولاحاجة، لا مرض فيها ولا ألم، لا هرم فيها ولا مشيب، لا هم ولاحزن، لا نجاسة ولا مستقذر، فليس هناك ما يعكر صفو النعيم المقيم، ولا يقطعك عنه ولو لبعض الوقت، إنها السعادة وكل السعادة.

لاعمل تكلف به ولا مشقة تتكبدها، بل الراحة التامة والنعيم المقيم، حتى صوت النار فلن يكدر مسامعك قال تعالى: { لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا اشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَالِدُونَ {102} لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ {103}} سورة الأنبياء.

كل ما فيها يشع نورا وجمالا، ويفوح بأطيب الروائح، والعطاء فيها بغير حساب، قال تعالى: { إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ {17} فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ {18} كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ {19}} سورة الطور.

لا تتكبد فيها عناء الطلب، فليس عليك إلا أن تشتهي ما تريد فتجده ماثلا أمامك، وحتى هذا الاشتهاء فهو ليس عن حاجة، وإنما هو تنعم، وقبل أن تطلب يأتيك ما تريد وأنت متوسد أريكتك الناعمة المنسوجة بالذهب، تحيط من حولك الثمار، ويدنو منك

قطاف الأشجار، ويلاعب خدك النسيم العليل، تتنزه بك أريكتك حيث تريد، تُحلق بك في سمائها أو تغوص بك في أنهارها، أو تسير بك بين وديانها وحدائقها وطرقاتها، فلك فيها ما يجول بخيالك وما تشتهيه.

أطلق لخيالك العنان، وتمن ما تشتهيه، وتأكد أن الجنة فوق ذلك بكثير:

أنت الآن في جزيرة مملوءة بالبساتين، مورفة الظلال متشابكة الأشجار، متنوعة الثمار، تفوح منها أجمل وأطيب العطور، فروائح الزهور والفل والياسمين والريحان والمسك والزعفران تخترق أنفك حيثما مشيت، وتغرد فوق أغصانها أجمل الطيور ذات أشكال وألوان جذابة المنظر، وذات أصوات لم تسمع قط مثلها، وتمتلىء بساتينها بأشجار من الذهب، تخطو بقدميك فوق اللؤلؤ، ويتخلل تلك الأرض الأنهار بديعة المنظر، تتدلى منها شلالات من اللبن والعسل والخمر الطيب المذاق كأجمل من كل عصير لذيذ شربته في حياتك، وفوق تلك الجزيرة الجميلة تجد قصرا عملاقا مبنيا من الذهب والفضة واللؤلؤ، إنه قصرك، وكل هذا النعيم موجود في وسط بحر كبير تجري من تحته الأنهار، ستجد كل هذا وفوق هذا وكل ما تتخيله وفوق ما تتخيله في ذلك المكان الرائع:

{ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ {41} وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ {42} كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ {43} إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ {44}} سورة المرسلات.

تعرف لم كل هذا النعيم؟ ولم كل تلك المنح وتلك الراحة و السعادة؟

{ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ {71} وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ {72 } } سورة الزخرف.

نعم، {بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ}، لأنك أتعبت نفسك في الدنيا من أجل مرضاة ربك، وصبرت على طاعته، وتصبرت عن رغباتك وعن فتن الدنيا، وعن كل ما تمنته نفسك مما يسخط الله عليك طلبا فقط لرضا الله عنك، وخوفا من عقابه وعذابه الأليم، لقد آثرت رضا الله على هوى نفسك، وتعبت وتألمت في سبيل الوصول لهذا الرضا الغالي، فاليوم لا تعب ولا نصب، إنه يوم الرضا، وكل شيء اليوم مسخر لرضاك أنت – بأمر الملك الذي أرضيته – حتى ملائكة الرحمن، أعظم وأكرم خلق الله، يدخلون عليك من كل باب ليسلموا عليك أنت: { وَالَّذِينَ صَبَرُواْ ابْتِغَاء وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُواْ الصَّلاَةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلاَنِيَةً وَيَدْرَؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ {22} جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلآئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ {23} سَلاَمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ {24}} سورة الرعد، وقال تعالى: {الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُواْ الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ {32}} سورة النحل، وقال تعالى:{وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاؤُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ

فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ {73}} سورة الزمر
بل إن جارك في الجنة هو الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم، وسقف فردوسها عرش الرحمن جل في علاه، وهنالك فوق كل ما مضى (المزيد)، فهل تدري ما هو المزيد؟
إنه التنعم بالنظر لوجه الله الكريم قال تعالى: { وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ {22} إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ {23}} سورة القيامة ، فهل بعد هذا النعيم نعيم؟ فإن تخيلت أعظم سعادة نلتها في الدنيا فاعلم أن سعادتك بالنظر لوجه الله جل وعلا تفوقها بكثير، وتفوق كل نعيم الجنة، بل هي نعيم الجنة الأعظم، كيف لا وسترى الجميل بلا حدود لجماله، والنور الذي ما بعد نوره نور: { اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... {35}} سورة النور، سبحانه. سبحانه. سبحانه وتعالى عما يشركون علوا كبيرا كبيرا.

فسل نفسك الآن هل أنت حقا ممن تعب وصبر، فتستحق أن يعوضك الله عن صبرك الجنة؟
أم أنك فقط تطلب كل هذا النعيم بالأماني والأوهام؟
إنك ياعاقل تأبى على ولدك أن يطلب النجاح بدون تعب ومذاكرة، وتأبى على نفسك أن تقعد عن العمل والتجارة ثم تحب أن تكسب المال الوفير، وتقول إن السماء لاتمطر ذهبا ولافضة، فكيف إذن ستمطر لك السماء جنة النعيم من دون أن تسعى وتعمل لتفوز بالجائزة الكبرى؟!!!
ماذا تنتظر؟
ماذا تريد بعد كل هذا؟ وما الذي يصدك عن العمل؟ والجزاء فوق الخيال:

{ إِنَّا نَخَافُ من رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قمْطَرِيرًا {10} فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا {11} وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا{12} مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا {13} وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا {14} وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا {15} قَوَارِيرَ من فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا {16} وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا {17} عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا{18} وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا{19} وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا {20} عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا { 21} إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاء وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا {22}} سورة الإنسان

ألا يساوي هذا النعيم أن تترك من أجله بعض النعيم الدنيوي المنغص الفاني القليل، والذي حرّمه الله عليك لضرر فيه لا يعلمه إلا هو؟

احذر، فأنت تحدد مصيرك بيديك، وتكتب نهايتك بأعمالك، كما قال تعالى: { وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى {39} وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى {40} ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاء الْأَوْفَى {41}} سورة النجم، فادخر من دنياك لآخرتك، كما تحرم نفسك وتدخر من أجل دنيا فانية، فأنت قد تعمل وتكد طوال العام من أجل أن تدخر نفقة تنفقها في أحد المصايف في أسبوع واحد فقط تجمع فيه من الذنوب كأمثال الجبال، وقد تحرم نفسك طيلة حياتك من أشياء تحبها وتشتهيها لتدخر مالا تشتري به منزلا أو سيارة وربما تموت قبل أن تستمتع به، أو قد تدخر مالك لزواج أبنائك وبناتك وربما مت قبل أن

تزوجهم، وربما تحرم المرأة نفسها وأسرتها من الكثير مما يشتهوه لتدخر ما تشتري به قطعة من المجوهرات، وربما يحرم الطالب نفسه من مصروفه اليومي، ويدخره ليشتري هاتفا نقالا أو حاسوبا، وربما حرم نفسه في سبيل ذلك من حاجاته الضرورية كالمأكل أو الملابس، أو حتى المواصلات وآثر أن يمشي على قدميه ليدخر النقود للهاتف، وأغلب شبابنا يدخر من راتبه الشهري ما يعينه على الزواج من إحدى فتيات الدنيا العاديات، وربما يدخر أحد الرجال ماله ليطوف بلدان العالم الغربي باحثا عن المتعة، جامعا من الذنوب والخطايا ما لا يعلمه إلا الله.

فماذا لو ادخرنا جميعا للجنة بعضا من وقتنا وبعضا من مالنا وبعضا من جهدنا، وفيها القصر الفسيح، والسيارة والطائرة، والمصايف، والزوجات من الحور العين، والحلي والمجوهرات، وجميع ما نشتهيه.

ماذا لو أجلنا بعض متع الحياة الفانية الزائلة لحين تطأ أقدامنا الجنة فنفعل ما نريد، ونستمتع فيها بالنعيم الباقي الأبدي.

إنها ليست مسألة منع، وإنما هو مجرد تأجيل مؤقت لتلك المتعة حتى يأتي الوقت الذي يتوقف فيه العمل، وننال الجزاء، فنستمتع بجنة عرضها كعرض السماء والأرض.

ولكنها ليست مجانية، إنها أعدَّت لمن يستحقها فقط:

1- أعدّت للمتقين:

نعم إنها التقوى التي تمنعك من معصية الله ولو كنت في جحر تحت الأرض لن يراك من البشر أحد أبدا، والتي تدفعك للطاعة مهما كانت نفسك تدعوك لتركها، إنها الخوف من الله الذي يقود صاحبه حتى يوصله الجنة بأمان.

{ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا {31} حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا {32} وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا { 33} وَكَأْسًا دِهَاقًا {34} لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا {35} جَزَاء مِّن رَّبِّكَ عَطَاء حِسَابًا{36}} سورة النبأ.

2- وأعدّت للأبرار:

كما قال تعالى: {إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا {5 } عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا {6}} سورة الإنسان. وقال تعالى: { إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ {22} عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ {23} تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ {24} يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ {25}خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ { 26} وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ {27} عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ {28} سورة المطففين

3- وأعدّت لمن يعملون لها:

قال تعالى: { ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ {70} يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ {71} وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ {72} لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ {73}} سورةالزخرف، وكما قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا {30} أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا {31} } سورة الكهف، وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا

{96}} سورة مريم، وقال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا {107} خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا {108}} سورة الكهف

4- وأعدّت للسابقين:

كما قال تعالى: {وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ {10} أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ { 11} فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ {12} ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ {13} وَقَلِيلٌ مِّنَ الْآخِرِينَ {14} عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ {15} مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ {16}يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ {17} بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ {18} لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ {19} وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ {20} وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ {21} وَحُورٌ عِينٌ {22} كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ {23} جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {24} لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا {25} إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا {26}} سورة الواقعة.

5- وأعدّت لأصحاب اليمين:

قال تعالى: {وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ {27} فِي سِدْرٍ مَّخْضُودٍ {28} وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ {29} وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ {30} وَمَاء مَّسْكُوبٍ {31} وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ {32} لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ { 33} وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ {34} إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاء {35} فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا {36} عُرُبًا أَتْرَابًا {37} لِّأَصْحَابِ الْيَمِينِ {38} ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ {39} وَثُلَّةٌ مِّنَ الْآخِرِينَ {40}} سورة الواقعة.

==========

ولكن احذر فالجنة درجات، ولا يستوي من جاهد نفسه فقط مع من نشر الدين في أهله، مع من نشر الدين في وطنه، مع من

نشره في أمته، مع من نشره في العالم كله، كما أنه لا يستوي بالطبع من أطاع مع من عصى، قال تعالى: {وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ {19} وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ {20} } سورة فاطر، وصدق الله العظيم إذ يقول: {هَلْ جَزَاء الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ {60} } سورة الرحمن، فطريق الجنة لابد فيه من التضحيات { أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ {35} مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ {36}}سورة القلم، وكما قال جل في علاه: {أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاء مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاء مَا يَحْكُمُونَ {21}} سورة الجاثية.

وتذكر أن كل الأبواب مغلقة إلا من خلف النبي محمد صلى الله عليه وسلم: { وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاء وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاء وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ {22} } سورة فاطر

==========

{ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ {55} هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِؤُونَ {56} لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ {57} سَلَامٌ قَوْلًا مِن رَّبٍّ رَّحِيمٍ {58} } سورة يس.
فلا تُلهك الدنيا الفانية عن الآخرة الباقية.
وأجّل متعك للجنة، إنه فقط مجرد تأجيل، فالمتع هناك بلا حدود ولاقيود، وليس لها مثيل.

عقاب النار كبير

إن الله الذي خلقك وكرّمك، وأعدّ لك كل هذا النعيم المقيم لو أطعته واتقيته، أعد أيضا لمن عصى ولمن بغى ولمن ظلم ولمن نسي ولمن فسق وفجر، أعدّ لهم نار جهنم { وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُّهِينٌ {14}} سورة النساء، أعاذنا الله وإياكم منها.

فهل تدري ما هي نار جهنم؟
إنها كما قال تعالى: { إِنَّهُ مَن يَأتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى {74} وَمَنْ يَأتِهِ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ فَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الْعُلَى {75} جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء مَن تَزَكَّى {76} } سورة طه.
وكما جعل الله في الجنة من كل صنف من أصناف النعيم لعباده الصالحين، فقد جعل في النار من كل أصناف العذاب المهانة والألم حتى تصير دار الشقاء بحق لكل من باع آخرته واشترى دنياه، وعاش على غير مراد الله منه.
فكيف سيكون مدى الألم الذي أعدَّه الله للفجرة والعصاة؟
إنها دار من لايموت ولا يحيا، فلا هو حي يشعر بالحياة، ولا هو ميت فيرتاح من شده العذاب والشقاء.
– تعرف كم حرها؟
إنها نار أوقد الله عليها ألف عام حتى احمرّت، وألف عام حتى

ابيضّت، وألف عام حتى اسودّت، فهي سوداء مظلمة.
حرها سبعون ضعف نار الدنيا، ووالله لو كانت هي لكانت كافيـــة، فكيف بنار تزيد عليها سبعين ضعف، فإن قسنا نار دنيانـــا بنـــار جهنم لوجدنا أن نارنا هذه كأنها ثلاجة بالنسبة لنار جهنم، أو قـــل هي الجمّادة (الديب فريزر)، فهل تتحمل ذلـــك ياعبـــد الله؟ وهـــل تتحملي هذا يا أمة الله؟ هل نتحمل هذا العذاب الشديد؟
فوالله لو وُضع منا إصبع في نار الدنيا، ولمدة ساعة واحدة فقـــط ما تحملنا، فكيف بتلك النار الشديدة ، والمقارنة صعبة جدا؟
1- فالذي يوضع فيها ليس إصبعا بل هو الجسد كلـــه، كمـــا أن الأجساد يضاعف حجمها يوم القيامة فيصير بين منكبي الرجل في نار جهنم كما بين جبلين، ليُضاعف له العذاب أكثر.
2- ونار جهنم ليست كنار الدنيا، وإنما هي ضعفها سبعين مـــرة، وهي نار مسخنة لثلاثة آلاف عام، حتى إن نار البراكين لا تُقارن بها.
3- والمدة ليست ساعة، إن المدة لا يعلمها إلا الله جل وعلا.
ولكن مقاييس العذاب في النار شديدة جدا، فاليوم الواحد من أيام النار يساوي ألف سنة، إنها ليست ألف ساعة، ولا ألف يوم، ولا ألف أسبوع ، ولا ألف شهر، إنما هي ألف سنة: { وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ {47}} سورة الحج.
وإنها ليست مدة العذاب، بل مدة اليوم الواحد منه، فكيف بمن كان عقابه عشرة أيام أي عشرة آلاف سنة، وكيف بمن أخذ خمســـين يوما أي خمسين ألف سنة، وكيف بمن كـــان عقـــابه ســـنة مـــن العذاب، فنال ثلاثمائة وخمسا وستين ألف سنة من العذاب؟!!!
وكيف بمن يأخذون سنوات وسنوات؟ وكيف بمن يخلـــدون فـــي

النار؟!!!
اللهم قنا عذابك يوم تبعث عبادك

إنه لعذاب أليم جدا، فكيف ياتُرى يشعر صاحب هذا القدر من العذاب، وما مدى ألمه وندمه ومعاناته، وكيف وساعات الألم تضاعف نفسها، فنحن حين نمر بمحنة في الدنيا يمر الوقت بطيئا وثقيلا، حتى لو كان في عمر الدنيا قصيرا جدا، فكيف بمن يكون في العذاب الشديد المهين الذي يهد الجبال الشم الراسخات في نار وقودها الناس والحجارة، كيف سيكون شعوره بالزمن ، وقد انقطع الأمل، وأغلقت الأبواب، وتباعد الأحباب والأصحاب؟
وكل الذي أسلفنا من الكلام لم يكن إلا حر النار ومدة يومها ولونها، ولكن هل تعرف ما قوتها، هل تعرف ما طعامها وشرابها، وما ثيابها وفرشها، وما حمامها وما مساكنها وما قيودها وما عمقها، وما أصناف العذاب فيها، وما ندم ساكنيها وبكاؤهم؟
لاتتعجب من الكلام، فإن لصاحب النار في النار طعاما وشرابا وثيابا وفرشا وأغطية، بل وحماما ومسكنا، ولكن كل هذه الأشياء ليست من الرفاهية في شيء، وإنما هي من مضاعفة العذاب والشقاء.

– تعرف ما طعامهم؟
طعامهم الزقوم والضريع والغسلين، فأما الزقوم، فقد قال الله تعالى فيه: { أَذَلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ {62} إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ {63} إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ {64} طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ {65} }

تعرف كيف يأكلون منها {فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ {{66}

يأكلونها فلا يستسيغونها تعرف كيف يبتلعونها؟{ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ {67} ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ {68}} سورة الصافات.

تعرف ما الذي تفعله ببطونهم ؟ إنها تغلي في بطونهم كما يُقدح السمن والزيت { إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ {43} طَعَامُ الْأَثِيمِ {44}كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ {45} كَغَلْيِ الْحَمِيمِ {46} } سورة الدخان

ثم تعرف ما هو الضريع؟ إنه شوكٌ ناريٌ مرٌ نتنٌ:{ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ {6} لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ {7} } سورة الغاشية.

ثم تعرف ما هو الغسلين؟ إنه صديد أهل النار، أو هو ما يخرج من فروج الزناة والزانيات: { فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ {35} وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ {36} لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِؤُونَ {37 } } سورة الحاقة.

فهل تحب ذلك، وهل تطيقه وتتحمله؟

فإن كنت لا تتحمل فلماذا تُعرض عن الله؟ ولماذا تتعرض لمساخط الله ولما يغضبه عليك ويجلب لك عذابه وعقابه؟!!!

<u>– تعرف ما هو شرابهم؟</u>

إنه الحميم، أي الماء المغلي، وإنه الصديد، قال تعالى: { كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ {15} } سورة

النحل، وقال تعالى: { تَصْلَى نَارًا حَامِيَةً {4} تُسْقَى مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ {5} } سورة الغاشية، وقال تعالى:{ مِّن وَرَآئِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَى مِن مَّاء صَدِيدٍ {16} يَتَجَرَّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ {17} } سورة إبراهيم.

بئس المكان، وبئس الطعام وبئس الشراب، وقبل ذلك بئس العمل الذي أوصلهم إلى هذا الجحيم.

{ قُلْ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ {49} لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ {50} ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ {51} لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ {52} فَمَالِؤُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ {53} فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ {54} فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ {55} هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ {56} } سورة الواقعة.

يارب سلم سلم

– ثم هل تعرف ما ثياب النار؟ {قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ} سورة الحج.

– تعرف ما حمومها؟ {يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ {19}}

تعرف كيف يُغاثون فيها؟ { وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاء كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءتْ مُرْتَفَقًا {29} } سورة الكهف.

تعرف ما يصنع بهم ذلك الماء المغلي؟ { يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ {20} } سورة الحج، ألست تصر على طريق العصاة، تحمّل إذن: { خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاء الْجَحِيمِ {47} ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ {48} ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ {

49 } } سورة الدخان، يال الذلة والمهانة، لشخص كان عزيزا كريما، لكنه لم يكرم نفسه بطاعة مولاه، فأذله الله.

– ثم هل تعرف ما مساكنها؟

{ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا {12} وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا {13} لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا {14} } سورة الفرقان

– تعرف ما ظلالها؟

{ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ {41} فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ {42} وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ {43} لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ {44 } } سورة الواقعة، { لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ {16} } سورة الزُمَر، { انطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ {29} انطَلِقُوا إِلَىٰ ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ {30} لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ {31} إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ {32} كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ {33} وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ {34} هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ {35} وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ {36}} سورة المرسلات.

إنهم من شدة العذاب وحرارة الأنفاس لا يستنشقون وإنما فقط يزفرون: { لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ {100}} سورة الأنبياء.

– تعرف ما أسرّتها وأغطيتها؟

قال تعالى: { لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ {41} } سورة الأعراف، وقال تعالى: { يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ {55} } سورة العنكبوت.

– تعرف كيف يُعاملون ويُستقبلون فيها؟

إنهم يساقون إلى النار كما تُساق البعير إلى حتفها بمنتهى الذلة والمهانة، في حين أن المتقين سيزفون في وفد كما يُقابل كبار الزوار: { يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا {85} وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وِرْدًا {86}} سورة مريم.

إنهم يساقون بقوة، ويُدفعون بعنف: { يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا {13}}، ثم يُقال لهم: { هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ {14} } سورة الطور.

نعم، لقد كذبتموها بأفعالكم، فكأنكم ما صدقتم أن هناك نار وسؤال وحساب وعذاب، فعشتم للهو، وعمرتم الدنيا بالمتع وخربتم الآخرة، ولو كنتم تصدقون بالنار حقا ما كنتم تستمرئون المعاصي، وتعيشون على غير مراد خالقكم جلّ جلاله، وتحيون كالأنعام تأكلون وتشربون وتنامون وتلهون وتتمتعون حتى يأتيكم الموت بغتة، وما أعددتم للقاء الله شيئا.

وحينها وفي ذلك اليوم العصيب، وقد وصلوا إليها، وحان وقت العذاب، ورأوا النار أمام أعينهم، وأذهلتهم شدتها وقوتها وضخامتها ولفحها الحار وصنوف العذاب فيها يرغبون في فرصة جديدة، ولكن هيهات: { وَلَوْ تَرَىَ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ فَقَالُواْ يَا

لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ {27} } سورة الأنعام.

تعرف كيف يوضعون فيها؟ إنهم يُقذفون كما تُقذف القاذورات في سلة المهملات: { وَمَن جَاء بِالسَّيِّئَةِ فَكُبَّتْ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ {90}} سورة النمل.

ولن يُكبُّوا وحدهم، وإنما مع من كانوا يعينوهم على المعصية ومعهم جند إبليس فيالها من صحبة: { فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ {94} وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ {95} قَالُوا وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ { 96} تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ {97} إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ {98} وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ {99} فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ {100} وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ {101} فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ { 102} سورة الشعراء. يالندمهم، ويالحسرتهم، ويالللخطب العظيم، فلو أن لنا كرة فنكون من المحسنين؟ فلو نرجع للدنيا فنصلح ونتقي الله ونعمل بطاعته؟ يارب أرجعنا نعمل صالحا، يالها من أمنية لن تتحقق، ولكنها الآن في أيدينا، فنحن لازلنا في الدنيا، والفرصة لازالت قائمة، وسوق العمل لازال منصوبا لم يُغلق، وأبواب الخير تنادي على من يريد، لماذا ننتظر حتى نرد المهالك ثم نطلب أن نعود ونتوب، افترض أننا ذهبنا وعدنا الآن، لقد وقفنا الآن على شفير جهنم وكدنا نُلقى فيها، ولكننا طلبنا العودة فأمهلنا، ففي كل يوم جديد تطلع عليك شمسه مهلة جديدة وفرصة جديدة، وفي كل صحوة من نومة نمتها فرصة جديدة فقد رد الله عليك روحك بعد موتة صغرى، فعد لربك وتب، فلقد رأيت النار بعين قلبك، ولاتريد بالطبع أن تدخلها.

تعرف أنهم سيكونون كالحيوانات فيها من شدة المهانـــة، حيـــث تسلسل رقابهم، ويجرجرون على وجوههم:
قال تعالى: { إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ {47} يَوْمَ يُسْـــحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ {48} } سورة القمـــر، وقال تعالى:{ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ {71} فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ {72}} سورة غافر.

– تعرف شكل وجوههم فيها؟

قال جل جلاله: { تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَـــالِحُونَ {104}} سورة المؤمنون، إنه ذلك الوجه الـــذي طالمـــا وضـــعتِ عليـــه المساحيق وزينتيه لغير المحارم، وخرجت بـــه تجتـــذبين أنظـــار الرجال إليك. هذا الوجه الذي نمصتِ فيـــه أو غيـــرت خلـــق الله، فلتري الآن ما يُفعل به.
هذا الوجه الذي طالما تعاليت به، وأنِفت به عـــن الســـجود لله أو تكاسلت عن ذلك.
هذا الفم الذي طالما حشوته بالدخان، أو أكلت به حرامـــا، وهـــذا اللسان الذي طالما تكلمت به بـــالكلام البـــذيء، أو أكلـــت لحـــوم إخوانك بالغيبة، أو أوقعت بينهم بالنميمة.
هذه العين التي طالما قلّبتها في عورات المتبرجات، واستبحت بها النظر لكل فجور وإثم في التلفاز والإنترنت والمجلات.
هذه الأذن التي طالما استلذت بما حرّم الله، وطربت لما يُغضب الله وينتهك حرماته.
هذه الجوارح التي ما نهيتها عن غيها ومعصيتها لله، وما أمرتها بطاعته، هاهي اليوم في العذاب المهين، وهاهي شهود عليك يوم الحسرات: { وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ {19}

حَتَّى إِذَا مَا جَاؤُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {20} وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ { 21} وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ {22} وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ {23} فَإِن يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُم مِّنَ الْمُعْتَبِينَ { 24}} سورة فصلت.

– تعرف من خزنتها الذين سيُنزلون هذا العذاب الشديد المهين الأليم بالناس؟

{ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ {6} } سورة التحريم، أحجامهم عظيمة وقوتهم رهيبة، وغضبهم وحنقهم على العصاة شديد، وصفهم الله بالغلظة والشدة، فما حيلتك أنت أيها الضعيف المسكين أمام قوتهم وبطشهم؟!! وماذا ستفعل حين يمسك بهم أحدهم، أو يجرك على وجهك أو يسلسلك بالسلاسل، أو يربط بها عنقك؟ وما حيلتك حين يدفعك بقوته، أو يقذفك في جهنم، أو يضربك بالمقامع؟ { وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ {21} كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ {22}} سورة الحج، فإن كنت لاترى لك حيلة، فلتنقذ نفسك من الآن.

– تعرف ما عمقها؟

يظل نازلهم ينزل فيها سبعين خريفا – أعاذنا الله وإياكم – مع

سرعة النزول، فكم عمق هذا البحر المظلم الأسود من النار؟!!!

– تعرف كيف يُؤتى بهذا الوحش العملاق الغاضب المزمجر؟

يُؤتى بالنار ولها سبعون ألف زمام، على كل زمام سبعون ألف مَلَك، وهي متشوقة لتسحب العصاة إليها، وتغرقهم في حرّها: { يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ {30} } سورة ق، وهي ممتلئة غيظا وحنقا على العصاة، وتزمجر من شدة الغضب: { إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا {12} } سورة الفرقان.

تذكر أشد الأصوات ارتفاعا ورعبا كالرعد والأعاصير والريح العاتية، واعلم أن صوت النار أشد فزعا، وهي تجئر بصوتها الغاضب، وتخرج ألسنتها إلى الناس لتتلقاهم كما يتلقى الطير الحبّ، ثم تبتلعهم، وتهوي بهم في عمقها السحيق: { إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ {7} تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ {8} } سورة الملك.

حينها تتذكر أعمالك، وتندم حيث لا ينفع الندم، وتتمنى أن لو كنت أطعت الله، ولكن هيهات تنفع المنى في ذلك اليوم العصيب: { كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا {21} وَجَاء رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا {22} وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى {23} يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي {24} فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُ أَحَدٌ {25} وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدٌ {26} } سورة الفجر، لقد فات كل شيء، وانتهت الدنيا بما فيها ومن فيها، ولم يتبق أمامك سوى ما قدّمته أنت بنفسك لنفسك من عمل، وجاءت ساعة الحساب،

وساعة رد الديون، وساعة العرض على الملك، حين يُختم على اللسان، وتتكلم الجوارح بالفضائح، وبما اقترفته يداك، وتوزن الأعمال، وتتطاير الصحف، ويُنصب الصراط، فأي دنيا ستنفعك يومها؟ وأي حسرة سيتحسرها صاحب النار؟ وأي شقاء سيجتمع على نفسك وبدنك؟ وقد انقطع الأمل والرجاء، وتركت الأهل والخلان، وأغلقت أبواب النارعليك، وأبعدت عنك رحمة الله، ونالت مَن كنت تسخر من صلاتهم وصيامهم وصدقتهم ودعوتهم، ونالت مَن كنتِ تسخرين من حجابها وحيائها وعدم اختلاطها بالشباب، واجتمعت أنت وأصحاب السوء، ورفقة الفساد كما كنتم تجتمعون في الدنيا، ولكن ليس على الغناء والأفلام، ولا على الحشيش والدخان، ولا بصحبة الفتيات واللهو والفساد، وإنما على الزقوم والضريع، والغسلين والحميم، والسلاسل والأغلال، والمقامع الحديد، يلعن بعضكم بعضا، ويسب بعضكم بعضا، في العذاب الذي يشيب لهول رؤيته الرضيع، فكيف بمن سيوضع في هذا العذاب ويتجرعه؟!!!

يااااااا الله رحماك بنا يارب

فنحن عبيدك الضعفاء، لاتتحمل غمسة في النار، فكيف بالمقام فيها.

ولكن انقطع الجواب، وانقطع الأمل والرجاء، وبقيت الحسرات والآهات، وليتها تنفع: { حَتَّى إِذَا جَاء أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ {99} لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ. كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ {100} فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءلُونَ {101} فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ {102} وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَئِكَ

الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ {103} تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ {104} أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ {105} قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ {106} رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ {107} قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ {108} إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ {109} فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنتُم مِّنْهُمْ تَضْحَكُونَ { 110} إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَائِزُونَ {111} قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ {112} قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلْ الْعَادِّينَ {113} قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ {114} أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ {115} فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ {116}} سورة المؤمنون

– تعرف أشد ما يُعذّبون به؟

{ وَمِن وَرَآئِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ {17}} سورة إبراهيم، إنها بشارة السوء، فكلما تعذَّبوا لا زال وراءهم الأشد والأكثر هولا: { فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا {30}} سورة النبأ. فبعد كل هذا العذاب والمعاناة والهوان والألم لا ينتظر لهم التخفيف، وإنما ينتظر الزيادة، فكل يوم شديد يعقبه ما هو أشد منه، وكل عذاب غليظ يعقبه ما هو أغلظ منه، فلا نهاية ولا تخفيف.

بل والأدهى أن العذاب سيتنوع:{ وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ {58} } سورة إبراهيم، فكلما اعتادوا عذابا جاءهم عذاب جديد، صنوف وصنوف من أصناف العذاب، منوعة كأصناف المعاصي التي كنت

تتفنن فيها في الدنيا، ولانهاية للأصناف، فكما كنت تقلب بين القنوات، وكنت تغير من الفتيات، وكما كنتي تنوعين بين البنطالات والبديهات، والموضات والزينات، فاستعدوا فالعذاب أيضا أصناف وألوان، فما أشده والله من عذاب.

ومع كل ما هم فيه من ألم، فالجسد قد تضاعف ليضاعف معه إحساسهم بالعذاب، والجلد في تجديد مستمر، حتى لا تحترق خلايا الإحساس وتموت بطول مكثهم في النار فيعتادوها، وكلما ماتت جلودهم أبدلوا جلودا حية جديدة تشعر بالنار وكأنها تدخلها لأول مرة، فتشعر بالعذاب كله بشدته وقساوته من جديد، فالعذاب في تجديد دائم: { كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا {56}} سورة النساء.

<u>– تعرف الآن وبعد كل هذا كم قدر بكائهم وندمهم وحسراتهم؟</u>

إنهم يبكون ويبكون حتى تنقطع بهم الدموع، فيبكوا الدم بدل الدموع، وإذا بآثار البكاء تصنع أخاديدا في خدودهم من طول البكاء، وقلوبهم تتقطع من الحسرة والندم، يقول واحدهم لنفسه: لم عصيتُ الله؟!! هل كانت طاعة الله أيسر أم ما ألاقيه الآن من العذاب والشقاء والألم الشديد؟، ويتذكر ذنوبه الواحدة تلو الأخرى وهو يقاسي مرارة الندم مع مرارة العذاب، هل كانت صلاة الفجر أسهل أم هذا العذاب؟ هل كان الحجاب في الصيف أسهل أم حر النار الفظيع؟ هل كان ترك التلفاز والغناء أسهل أم ذاك العذاب المهين والشقاء العظيم؟ ما كان أقصر الدنيا، ليتني أدركت يومها قصرها وهوانها وهي تبدو اليوم أمامي كساعة مرت وانقضت،

وها أنذا أقاسي بسبب تلك الساعة التي لم أصبرها شقاء طويلا: { وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ {55}} سورة الروم
ليتني ما سمعت كلام فلان وفلان فقد أبعدوني وأهلكوني وأضاعتني رفقتهم: { وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا {67} رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا {68}} سورة الأحزاب.

==========

ثم يفزع مناديا ومتمنيا، ولن تنفع الأمانيّ في تلك المحنة العظيمة:
نعم ففي تلك المحنة المروعة لم يعد لديك إلا الأماني، فهي رأس أموال المفاليس، وكما كنت تتمنى في الدنيا أن تدخل الجنة وأنت لا تعمل بعمل أهل الجنة، فتمن وأنت في النار أن تخرج منها،ولن تنفعك الأماني.

==========

<u>– فهل تعرف ما هي أمانيُّ أهل النار؟</u>
1– أول أمنية يتمناها أهل النار حين تعرض عليهم أعمالهم السود: أن يتملّصوا من بعض ذنوبهم ومعاصيهم، فإذا بالكتاب يحصي عليهم كل أعمالهم: { وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا {13} اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا {14} } سورة الإسراء، يالللحسرة إن كتابهم يحصي عليهم كل عمل عملوه، فلا مفر إذن وقد باءت المحاولة الأولى بالفشل:{ وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا

كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا { 49}} سورة الكهف

فتزداد حسراتهم، ويتمنوا لو يستطيعوا تكذيب ما في الكتاب، فيقولون : يارب ظلمنا الكتبة، ولا نرضى إلا بشهيد منا، فيُختم على أفواههم، وتتكلم بقية جوارحهم: { الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ {65} } سورة يس.

2- فتراودهم الأمنية الثانية – حين يرون النار – أن يعودوا للدنيا ليعملوا صالحا: { وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ {44}وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ{45}} سورة الشورى،{ وَأَنذِرِ النَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَا أَخِّرْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ ... {44}} سورة إبراهيم، ولكن لا فائدة { وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُؤُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ {12}} سورة السجدة، لكن هيهات فالرد مفصول به منذ زمن بعيد، أنهم إليها لا يرجعون.

3- والآن، وبعد أن تحققوا أنهم ذاهبون للنار، وهم في طريقهم إليها، يُساقون سَوق البعير، فأعظم أمانيهم أن يستطيعوا الفداء: { وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ {47} وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ

يَسْتَهْزِئُون {48}} سورة الزمر،{ وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الأَرْضِ لاَفْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّواْ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ {54}} سورة يونس، { لِلَّذِينَ اسْتَجَابُواْ لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَى وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لاَفْتَدَوْاْ بِهِ أُوْلَـئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ {18}} سورة الرعد.

ثم تصل بهم الرغبة العنيفة في الفداء لأن يفتدوا بأعز الناس لديهم في الدنيا، وربما كانوا هم سبب ضياع آخرتهم، فقد كان ذلك الأب في الدنيا يمنع ولده من صلاة المسجد ومن اللحية، ويمنع ابنته من الحجاب، ويمنعها من الزوج الصالح ثم يرمي بها لزوج لايصلي ولا يعرف الحلال من الحرام، ويمنع أولاده من العرس الإسلامي ليقيم لهم عرسا على سنة الشيطان ونهجه وبدع أهل الفسوق والعصيان، وقد كانت تلك الأم لا تحمي ابنتها من المناظر السيئة في الشاشة السوداء، وتتركها تخرج للشارع كاسية عارية وهي تضع أطنان المساحيق على وجهها نهبا لأعين الذئاب تفترسها ويزني بها كل مريض نفس في مخيلته وكأنها قد نامت مع آلاف الرجال، ولا تمنعها من مخالطة الرجال في المدرسة والجامعة والنادي، ولا تبث القيم الإسلامية في أولادها وتربيهم عليها، ثم هاهو ذا يوم الحساب، يود كل منهما لو ألقى بفلذة كبده في الجحيم لينجو هو، ولكن هيهات: { يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ {11 } وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ {12} وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ {13} وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ { 14}} سورة المعارج.

ولكن هيهات هيهات، فلا تَزر وازرة وزر أخرى: {وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ

وزْرَ أُخْرَى وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَى حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى...18} سورة فاطر.

4- يصرخون بقوة ويعتذرون قبل أن يوضعوا في تلك النار المهلكة، ويتمنون لو قبل الله عذرهم، ولكن: { فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ {57}} سورة الروم، يتلفتون ويتمنون لو وجدوا من يشفع لهم ، فينجون من العذاب بشفاعته، ولكن ذلك الأمل ينقطع كغيره من الآمال: { فَمَا لَنَا مِن شَافِعِينَ {100} وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ {101}} سورة الشعراء، إنه ميزان العمل، ولا شيء آخر. فقد اعتادوا في الدنيا على اقتطاع الحقوق بالوساطة، ولكن اليوم لا وساطة إلا بالعمل الصالح الذي لا يملكون منه شيئا.

5- فلما يُقذفون فيها، ويذوقون شدة حرارتها، تراودهم الأمانيّ الساذجة أن يخرجوا من هذا الجحيم الذي لا يطاق، فينادون: { قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ {11}} سورة غافر - (قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ {106} رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ {107}) سورة المؤمنون.
فيأتيهم الرد الذي يصعقهم ويحطم آمال نفوسهم: { قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ {108}} سورة المؤمنون. إنه لا فائدة ولا أمل، لا رحمة ولانجاة، فالرد الحازم قد أتاهم: { وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ {167}} سورة البقرة.

6- ووسط كل هذا الشقاء الذي لا يطاق والألم الـذي لا ينتهـي، تراودهم أمنية الهرب، ويظن بعضهم أن بإمكانه الفرار كما يفـر السجين من سجن الدنيا، فيحاولون، فيجدون على أبـواب جهنـم حيات وعقارب كالبغال، تلدغ الواحد منهم لدغة فيتهرّى ويتفتـت جسده منها سبعين عاما. { كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَـمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ {22}} سورة الحج.

7- وتقع أعينهم على أصدقاء السوء ورفقاء المعصية، فيتقاذفون الاتهامات، ويرمي بعضهم على بعض اللـوم، إنهـم يتلاومـون ويتسابُّون، ويلعن بعضهم بعضا، حتى الأصحاب الـذين وصـلت صداقتهم لدرجة الخليل لخليله سيلعن بعضهم بعضا يوم القيامـة لأن تلك الصداقة والمحبة لم تكن في طاعة الله وإنما كـانت فـي طاعة الشيطان: { الْأَخِلَّاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ { 67} } سورة الزخرف، { وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَـا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا {27} يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا {28} لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءنِي وَكَـانَ الشَّـيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا {29 } سورة الفرقان، فيتمنون أن يسـتطيعوا أن يتخلصوا فقط من بعض العذاب وأن يحمله عنهم زعمـاؤهم فـي الشر ومن دلوهم عليه وكانوا سببا في ضلالهم في الـدنيا: { وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاء لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ{47} قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ {48 } } سورة غافر، {وَلَـن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْـتَرِكُونَ {39}} سـورة الزخرف

يقول واحدهم: لقد كنت أحبك أيها المطرب الفلاني، وأحفظ كل أغانيك وأيضا أقلد بعض سلوكياتك، فهل أنت مغنٍ عني اليوم من عذاب الله من شيء، وهل تحمل عني ولو بعض أوزاري فقط؟ ويظلون يبحثون عن أحد يقوم بحمل أوزارهم بدون أمل: { أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى {36} وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى {37} أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى {38} وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلَّا مَا سَعَى {39}} سورة النجم.

8- فلما يئسوا من كل الفرج، يحلمون بأن تهدأ حرارة النار شيئا يسيرا عليهم، فإذا بالرد الشديد يأتيهم: { إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ {74} لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ {75} وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ {76} } سورة الزخرف، { أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُاْ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ فَلاَ يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ {86} } سورة البقرة.

9- فيتمنون حتى أن ينالوا إجازة قصيرة ليوم واحد فقط يستريحون فيه من الشقاء، فلم تعد أمانيهم تطمح للخروج والعفو عنهم ولا العودة للدنيا لتجديد التوبة، ولا حتى للهرب من النار، إنها مجرد مهلة فقط من العذاب ثم يعودون له من جديد: { وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ {49} } فلا يكون الرد خيرا مما سبق: { قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا...{50} } سورة غافر، نعم لقد فات وقت الدعاء، وفات وقت العمل، ولم يبق سوى الحساب والندم، ادعوا أنتم الآن، ادعوا الله الذي لم تعرفوه في

الدنيا، ولم تعبدوه في الدنيا، ولم تؤثروا رضاه على هواكم ومتعكم المحرمة، ادعوه كما شئتم فلا مجيب.

10- إذن لعله بقي لهم أمل أن يحنو عليهم بعض أهل الجنة، فيعطوهم جزء يسيرا من نعيمها الذي لا ينقطع، فينادون عليهم بذلك الصوت المنهك من شدة العذاب والجوع والعطش وبذلك الرجاء المصحوب بالخوف، وبتلك اللهفة التي تكاد تقطع قلوبهم من الحسرة: { وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ {50} الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ {51}} سورة الأعراف.

11- وبعد أن نفدت كل الآمال يتمنون الموت لعله يكون خلاصهم من ذلك الهول الشديد، ويظلون ينادون على مالك خازن النار لآلاف السنين:{ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ } حتى يجيبهم بما يقطع أملهم، ويزيد حسراتهم: { قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ {77}} سورة الزخرف، إنهم لن يموتوا ويستريحوا، على الرغم من أن الموت سيأتيهم آلاف المرات وسيذوقون ألمه وعذابه وسيحاصرهم من كل الجهات إلا أنهم لن ينالوه فينجو به من العذاب: { وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ {17}} سورة إبراهيم.

==========

وهنا يناديهم إبليس اللعين ليكشف عما فعله بهم، وكيف أنهم

كانوا حمقى حينما أطاعوه:{ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُون مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ {22}} سورة إبراهيم. حتى إبليس يرفض أن يلام على ما وصلوا إليه، فهو لم يجبرهم على آثامهم، وإنما كل ما فعله بهم أنه دعاهم فاستجابوا فاللوم على من أسلم عقله وقلبه وعمله لشيطان: { وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم} ، إنها حماقة من اتبعه، ولا حول ولاقوة إلا بالله.

==========

ثم في وسط كل تلك الأهوال التي يعجز عن وصفها اللسان، تُغلق عليهم أبواب النار، كي لايبقى لهم من الأمل شيئا { إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ {8}} سورة الهمزة، ياله من هول والله دونه كل هول، ويالها من محنة دونها كل محنة، ويالها من كارثة دونها كل كارثة. لقد أغلقت الأبواب وقطعت الآمال، ويئست النفوس، وكلحت الوجوه، ثم يطويهم النسيان في غياهب جهنم، فهاأنت ذا تُنسى هنالك في الجحيم كأنك لست موجودا، ولكنك موجود هناك في العذاب؛ لأنك نسيت الله، ولأنك اغتررت بالدنيا وحسبت أن اللذائذ تدوم، وأن الموت بعيد، وأنك ستنجو من العقاب كما كنت تفعل الآثام وتنجو في الدنيا بفعلاتك المشينة: { فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاء يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ { 14}} سورة السجدة، { الَّذِينَ اتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُواْ لِقَاء يَوْمِهِمْ هَـذَا وَمَا كَانُواْ

بآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ {51} } سورة الأعراف.
لقد خاب كل رجاء لهم، ولم ينفعهم شيء، لا الكذب ولا الكيد ولا الشفاعة ، ولا طلب التخفيف ولا طلب الموت، ولا طلب الفداء، ولامال ينفع ولاولد، ولا الأهل ولا الأصحاب، ولا رجوع للدنيا فقد فنيت وفني ما عليها، ولم يتبق إلا العمل، انظر إلى انقطاع الأمل، وإلى اليأس يستبد بهم من كل جانب، حتى يقولوا: { سَوَاء عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ {21} } سورة إبراهيم.
ياللـــــــــــه، ما أقسى انقطاع الرجاء وتحطم الآمال.
==========
إياك أن تأخذك الشفقة عليهم { وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّهُ وَلَـكِن كَانُواْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ {33}} سورة النحل، نعم، فقد قدموا العمل السيء، وهاهم ذا يجنون ثمار ما جنت أيديهم إنها ثمار العلقم والزقوم.
ولكن إن كنت عاقلا حقا فأشفق اليوم على نفسك من أن تكون معهم في هذا الهول الذي يشيب له الوليد، وفي هذا العذاب الفظيع، وسارع بالندم قبل ألا ينفعك الندم، فتنادي يوم لا ينفعك نداؤك بشيء: { يَا وَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ { 97}} سورة الأنبياء.
واحذر من انتقام الملك، فإنه انتقام شديد لا يقدر عليه ضعيف مثلي ومثلك، فلا تكن مع المجرمين حتى لا ينالك ذلك العذاب العظيم: { وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ {22}} سورة السجدة.
تعرف من سينتقم؟..... إنه الملك الجبار.
فما حيلتك أنت أيها الضعيف على هذا الانتقام؟!

ما حيلتك وفيروس مرض يسير لا يُرى بـــالعين المجـــردة يهـــد جسدك؟
ما حيلتك ويوم شديد الحرارة يقلب كيانك تأففا وضجرا؟
ما حيلتك وبعض الطعام الساخن يحرق لسانك وحلقك؟
ما حيلتك بعض قطرات من الماء المغلي تشوي جلدك؟
ما حيلتك وحرق يسير من الدرجة الثالثة يشوه وجهك وبدنك؟
ما حيلتك وشوكة تصيبك فتبقى في جسدك تقلب حياتك كدرا؟
ما حيلتك وبضع ساعات من الجوع توهن قواك؟
ما حيلتك وبضع ساعات في الصحراء بلا ماء ولا ظـــل تطرحـــك صريعا لا تقوى على النهوض؟
ما حيلتك
ياضعيـــــــــــــــف
اعرف قدر نفسك
واعرف قدر ربك
واحذر غضبه عليك، فوالله لئن حصلت على الدنيا بما فيها فـــإن ذلك لايعدل أن تلقى الله وهو عليك غضبان، فسارع بالتوبة قبل ألا ينفعك الندم: { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ } 6 سورة التحريم.
وتذكر مصير المتقين واحرص على أن تكون منهم: { إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ {51} فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ {52} يَلْبَسُونَ مِن سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَابِلِينَ {53} كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَـــاهُم بِحُـــورٍ عِيـــنٍ {54} يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ {55} لَا يَذُوقُونَ فِيهَـــا الْمَـــوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَى وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ {56} } سورة الدخان
ولا تغرك الدنيا، فوالله مهما طالت إنها لقصيرة، ومهما عظمـــت

فهي حقيرة، وسيقطعك الموت عنها عاجلا أو آجلا، شئت أم أبيت: { كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ {185} } سورة آل عمران.

==========

فياعبد الدنيا التعيسة، ويا عبد العادات والتقاليد، يامن تقول (نعبد الله نعم، ولكن ما شأن العرس بطاعة الله، وما دخل عملي بديني، وما علاقة الدين بملابسي، وما شأن الدين بالعزاء، وما علاقة الدين بالترفيه عن النفس، وماذا تضر الصور التي على الجدران والتماثيل التي تزين المنزل، ولماذا ألتحي، وما الداعي لأن أصلي بالمسجد؟) وبئس ما تقولون، فالدين كلٌ متكامل يشمل كل أمور حياتنا ولايبقي منها أمرا، قال تعالى: { قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ {162}} سورة الأنعام.

قف مع نفسك الآن وقفة لتنظر لحياتك، وترى ماهو على طاعة ربك فتستكثر منه، وما يجلب لك سخطه فتتوقف عنه.
فماذا يضرك لو عملت كل شيء على منهج الله وهدي رسوله صلى الله عليه وسلم ؟
ماذا يضرك لو خالفت الناس واختلفت عنهم مادام هذا في سبيل الله وابتغاء مرضاته؟
ماذا يضرك ياعبد الناس وعبد كلام الناس، أفق قبل أن لا ينفع الندم، فعامة ندم أهل النار من طاعة المضلين: { وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ {116} } سورة الأنعام، وقال تعالى: { وَمَا أَكْثَرُ

النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ {103}} سورة يوسف، وقال تعالى: { وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ {49}} سورة المائدة.

راجع نفسك الآن، هل أنت ممن اتخذ دين الله دينا حقا، أم أنت ممن اتخذه هزوا ولعبا؟ { الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَـٰذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ {51}} سورة الأعراف.

فوالله الذي لا إله غيره لو فعلت كل ما تتمناه في الدنيا، فهذا كله لا يساوي غمسة في نار جهنم: { أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ { 205} ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ {206} مَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ {207}} سورة الشعراء، فدنياك بأكملها إن قيست بمقياس الآخرة فإنها لا تساوي يوما من أيامها، فكم ستعيش يامسكين ستين سنة أو سبعين، فإن صرت من المعمّرين عشت تسعين سنة أو حتى المائة عام، ثم ماذا؟!!! { ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ {15} ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ {16}} سورة المؤمنون، ثم ماذا يا مسكين؟ { فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ {101} فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ {102} وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ {103} تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ {104}} سورة المؤمنون، ثم ماذا في نار جهنم؟ { وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ {47}} سورة الحج.

فما الذي ستصنعه لو عمّرت عمر نوح، وامتلكت مال قارون، وسطوة فرعون، وقوة جالوت، ما الذي ستأخذه معك إلى القبر من كل ذلك؟

ثم ستصير إلى نار جهنم تجرجر أثواب الحسرة وخيبة الأمل.
ومع كل ذلك فأنت لن تمتلك مال قارون ولا قوة جالوت ولا سطوة فرعون ولا عمر نوح، ولن تعيش إلا قدرا ضئيلا في عمر الدنيا، ولن تمتلك إلا بعض فتاتها وإن كنت من أثرى الأثرياء، وسيكون هذا القدر الضئيل مشوبا بأكدار الدنيا من المرض والحزن وفقد الأحباب....إلخ، ثم ستموت وتفارق نعيم الدنيا، وستُحشر وحيدا عاريا جائعا عطشا متعبا، ثم تُعرض على ربك بكل سوءاتك ومصائبك لتلقاه في يوم الحساب، وقد اقشعرت أبدان الأنبياء من الخوف ينأون بأنفسهم عن الموقف قائلين: إن ربي قد غضب اليوم غضبة لم يغضب قبلها مثلها، فأين أنت يا مسكين يومها؟!!! ومالذي سيفعله لك نعيم الدنيا وسلطتها؟!!!
وهب أنك عشت دنياك كلها منعّما بدون أي كدر، فهل يعدل هذا النعيم عذاب غمسة في نار جهنم؟!!!
انظر لهم يوم القيامة حين يُغمسون في النار غمسة واحدة فقط، إنهم ينسون كل شيء، يُسأل واحدهم – بل إنه أنعم أهل الدنيا – هل رأيت نعيما في حياتك قط؟ فيقول : لا يارب، وعزتك لم أر نعيما قط، مع أنه أنعم أهل الدنيا.
لماذا يقول ذلك؟ هل هو يكذب؟ بالطبع لا، ولكن غمسة واحدة في نار جهنم أنسته كل ما تنعّمه في الدنيا، فلم يعد يرى ولا يشعر إلا بطعم المرارة والألم، ولأن نعيم الدنيا كله لا يعدل شيئا بمقياس الآخرة، لأنه من الدنيا، والدنيا لا تساوي عند الله جناح بعوضة.
{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَّا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ {33} } سورة لقمان.

وقفة مع نفسك

هل تستحق الدنيا أن تضحي من أجلها بالآخرة؟!!!

وفي البداية أود أن أسألكم سؤالا، وأرجو من كل عاقل أن يتدبره ويتأمله قبل أن يجيب:

هل النائم الذي يحلم يأخذ شيئا مما رأى في منامه معه بعد أن يستيقظ؟

إنه يلهو ويلعب، ويأكل ويشرب، ويقابل ويكلم، بل ويسافر ويعود، وربما يطير ويسبح، ومع كل ذلك فحين يستسقظ يجد نفسه في فراشه ما ذهب ولا عاد، وهذه هي حقيقة الدنيا، فكما قيل: (**الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا**). فانتبهوا إخوة الإسلام، إننا الآن في الحلم، وسرعان ما ينقضي الحلم، وسرعان ما تأتي اليقظة ويذهب النوم، فماذا أعددت لليقظة؟ ماذا أعددت للموت، وللقبر، وللقيامة، وللصراط، وللحساب، وللميزان، وللعرض على الله والوقوف بين يدي الملك الجبار؟ ماذا أعددت لكل ذلك؟!!!فالأمر عظيم {وَفَرِحُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلاَّ مَتَاعٌ {26}} سورة الرعد. {بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا {16} وَالآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى {17}} سورة الأعلى.

هذه الدنيا بكل ما عليها لم تُخلق وتُسخر لك بكل ما فيها من أرض وسماء، وشمس وقمر، ونجوم وجبال وبحار وحيوانات وطيور إلا لكي تعبد الله.

فالحذر الحذر، وتدارك ما بقي قبل فوات الأوان، كما قال رسول

الله صلى الله عليه وسلم: " اغتنم خمسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك، وصحتك قبل سقمك، وغناك قبل فقرك، وفراغك قبل شغلك، وحياتك قبل موتك " صحيح.

فهذه الدنيا القصيرة الغرورة ما هي إلا حلم، ذلك الحلم الشيطاني الذي يحيا من أجله كل من عبدها، يلهث وراءها وهو لايدري أنها الهباء وأنها الفناء، وأنها اللاشيء، فمهما امتلأت بالمتاع ماهي إلا كما قال عنها الله تعالى:{ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى {131}} سورة طه

فلتحمل من الدنيا أقصى متاع تستطيع حمله، ثم ماذا سيكون مصيرك بعد ذلك؟ ألن تفنى وترحل عن الدنيا تاركا كل شيء خلف ظهرك، شئت ذلك أم لم تشأه، وقبلته أم رفضته: { قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ {8}} سورة الجمعة، ثم ستُحاسب على ما بدر منك { إِنَّ هَؤُلَاء يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا {27}} سورة الإنسان، وقد جاء في تفسير ابن كثير في جزئه الأول صـ 505: (عن أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " يُؤتَى بالرجل من أهل الجنة فيقول له : يا ابن آدم كيف وجدت منزلك ؟ فيقول : أي رب خير منزل، فيقول : سل وتمن، فيقول : ما أسأل ولا أتمنى إلا أن تردني إلى الدنيا فأقتل في سبيلك عشر مرار لما يرى من فضل الشهادة، ويؤتي بالرجل من أهل النار فيقول له : يا ابن آدم كيف وجدت منزلك ؟ فيقول : يا رب شر منزل . فيقول له : أتفتدي مني بطلاع الأرض ذهبا ؟ فيقول : أي رب نعم، فيقول : كذبت قد سألتك أقل من ذلك وأيسر فلم تفعل، فيرد إلى النار " (رواه الإمام أحمد) ولهذا قال :

{ أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين } أي وما لهم من أحد ينقذهم من عذاب الله ولا يجيرهم من أليم عقابه) انتهى.

قف مع نفسك الآن وقفة جادة: ما أقصى ماتريده من الدنيا؟

أتريد ملك فرعون الذي قال: أنا ربكم الأعلى؟

أم ثراء قارون الذي امتلك كنوزا يعجز عن حمل مفاتيحها الرجال الأشداء؟

أم تريد قوة الجسد والبنيان كتلك التي وُهبها قوم عاد؟

ثم ماذا؟!!!

تهلك كما هلكوا جميعا، فلا ينفعك شيء مما جمعت، كما قال تعالى: {أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ {205} ثُمَّ جَاءهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ {206} مَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ {207}} سورة الشعراء

وماذا بعد؟

ماذا بعد الملك الواسع؟ سيهلك الملك والرعية.

وماذا بعد الثراء الفاحش؟ ما أقصى ماستناله من المتاع؟ دار ستسكنها، وطعام ستتناوله، وثياب ستلبسها، ثم تدخر الباقي كله لحين يرثه غيرك، ويستمتع هو بما جمعت أنت، وتُحاسبُ أنت عليه، وربما ساقك مالك لجهنم وبئس المصير، ومهما فعلت بالمال فسيهلك المال ويفنى جامعه: { تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللّهُ يُرِيدُ الآخِرَةَ ... {67}} سورة الأنفال

وماذا بعد التعاظم في البنيان؟ الهدم والخراب والخواء.

بل وماذا بعد القوة العظمى؟ إنه الضعف والمرض والشيخوخة والعجز والمذلة والمهانة، ثم الموت كما قال تعالى: { كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ

النَّار وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَـــاعُ الْغُـــرُور { 185}} سورة آل عمران

إن الدنيا ماهي إلا كما ضرب لها النبي صلى الله عليه وسلم مثلا، فيما أخرجه الترمذي من حديث سهل بن سعد: " مـــا الـــدنيا فـــي الآخرة إلا مثل ما يجعل أحدكم أصبعه في اليم، فلينظر بم يرجع؟" فلتنظر بم سترجع من الدنيا، وماذا ستأخذ معك؟!!!

الدنيا كالشبكة التي تصيد من يتهافت على الحب ولاينظر للعاقبة، يحسبه طعاما لذيذا هانئا وهو حتفه وهلاكه.

الدنيا مناد يقول هلموا معي إلى نار جهنم لـــن أدخلهـــا وحـــدي، ولكنها تغني بصوت عذب فينشغل الناس بجمال صوتها وينساقون خلفها للحتف والهلاك، وينشغل السامعون بحماقتهم بذلك الصوت المغري، فيغلق عقولهم عن سماع حقيقة ما تقول، فيتناولوا السم المصبوب مع العسل وهم مستمتعون.

إن الدنيا مالكة، لكنها تمتلك لـــذة وهميـــة وقتيـــة، بلا دوام ولا استمرار، تحمل في طياتها تبعة عظيمة من الذنوب المهلكة، تُلقي صاحبها في النار وسوء القرار، وتُخلّف النـــدم والحســـرة يـــوم الوقوف بين يدي الملك عز وجل.

ما أشبه الدنيا بالثعبان، إنه ناعم الملمس، هادىء الحركة، جميل المنظر، كثير النقوش والزينة، ولكنه سريع المكر، ولدغته مهلكة، وقد قال عنها المصطفى صلى الله عليه وسلم: " ما لي وللدنيا، ما أنا في الدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة، ثم راح وتركها" رواه ابن ماجه، فالدنيا دار من لا دار له، ومال من لامال لـــه، ولهـــا يجمع من لاعقل له، فاللهم لاتهلكنا بالدنيا.

إنها مجرد زينة، كما قال تعالى: { إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا {7} وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا {8}} سورة الكهف، ونعرف جميعا ما حقيقة الزينة، إنها مجرد شكل جميل، ربما يخفي أقبح القبيح، فإذا انجلت عن الدنيا زينتها، فماذا سنرى. سنرى صحراء عمّروها للخراب، وسنرى لاهثين نحو الأمانيّ والموت ينتظرهم في الطريق، وسنرى أنها لم تكتمل لأحد، فمن أخذ منها حظا حُرم من الآخر، وسنراها مملوءة بالمنغصات والمكدرات من المرض والفراق والفقر والهرم والحزن والهم، ثم يعقبه الموت.

فيا من تنشد راحة الجنة الآن، نحن في دار الممر، وهناك المقر، فإن نلت الجنة في الطريق فما أسرع أن يمر الزمان ويصل المسافر ويجد نفسه قد عمّر الطريق ثم تركه، وخرّب داره التي سيسكنها أبد الآبدين، فما أشد حسرته، وما أطول ندامته!!!
ما أسرع مرور الدنيا حلوها مع مرها، ويبقى العمل، ثم تأتي يوم القيامة وأنت ترى الدنيا كيوم مر وانقضى، كما قال تعالى مخبرا عن حال النادمين يوم القيامة: { قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ {112} قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلْ الْعَادِّينَ {113} قَالَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَّوْ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ {114}}!! ! سورة المؤمنون.
وسرعان ما تقف مشدوها أمام صحيفتك الملأى بأعمالك، والشهيد عليك من نفسك لا من غيرك كما قال تعالى: { وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَآئِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا {13} اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا {14} مَّنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا

يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلاَ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً {15}} سورة الإسراء

يا من ترجون تجارة لن تبور: ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس، بل بع الدنيا وانفض غبارها عن قلبك، وتاجر مع ربك في تجارة لن تبور: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ {10} تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ {11}} سورة الصف

فكن في الدنيا كما قال الحبيب صلى الله عليه وسلم: " كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل " ،وكان ابن عمر يقول: (إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك) رواه البخاري.

ومالنا لا نخاف لدغة الثعبان وقد قال عنها النبي محمد صلى الله عليه وسلم: " الدنيا ملعونة ملعون ما فيها، إلا ما ابتُغي به وجه الله تعالى " رواه الطبراني، وقال صلى الله عليه وسلم: " لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافرا منها شربة ماء" رواه ابن ماجه، فما بالنا والكفار اليوم يأخذون من الدنيا كل شيء المال والجمال، والصحة والقوة، والملك والسلطة، فما أهونها على الله إذن!!! كما قال تعالى: { وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ {33} وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِؤُونَ {34} وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ {35}} سورة الزخرف. نعم فلينالوا من البوار ما ينالون، ولكن يوم الفوز الحقيقي ستبين الحقيقة، كما قيل:

وستعلم حين ينجلي الغبار أفرسٌ تحتك أم حمار؟

الجميع في الدنيا منتظرون لغد قد يأتي وقد لا يأتي أبدا، {وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاء أَجَلُهُمْ لاَ يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلاَ يَسْتَقْدِمُونَ {34}} سورة الأعراف

إن الدنيا سجن كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "الدنيا سجن المؤمن، وجنة الكافر" رواه ابن ماجه، إنها سجنٌ به قيود، فلو أردت الفكاك منها والجري خلف الحرية المزعومة فذكّر نفسك أنها ربما تكون اللحظة الأخيرة، فتتحرر من سجن الدنيا لتقع في سجن جهنم، فإنما الدنيا صبر ساعة، هي تلك الساعة التي بين يديك، فالأمس قد مرّ وانقضى بحلوه ومره، والغد لاتعلم أيأتي وأنت حي أم من ساكني القبور، فإنما العمل عمل تلك الساعة التي بين يديك الآن، فاعمل فيها، فإن أسير الدنيا مفكوك، لكن أسير الآخرة لافكاك له، وإن سجن الدنيا قصير، ولكن سجن الآخرة طويل، وإن ألم الدنيا مهما عظم فهو ضئيل بمقياس ألم الآخرة.

فالسعادة الحقيقية أن يمتلك الإنسان نفسه، فيحملها على طاعة الله، والشقاء الحقيقي أن تمتلكه نفسه فتسوقه للجحيم، وكما قيل: (النفس كالدابة، إن ركبتها قدتها، وإن ركبتك أهلكتك).

وإن كنت تريد أن تصل للآخرة في أمان فاحيا كما يحيا البشر الآدميون، ولاتحيا حياة البهام والأنعام، فالحيوان الذي لايعقل شيا يكتفي من حياته بأن يأكل ويشرب وينام وينكح وينجب ثم يؤمن لصغاره الغذاء والحماية حتى يموت، أما الآدميّ الذي كرّمه الله بالعقل والقلب والإدراك والاختيار والفكر والعلم والشعور فلا يليق به أن يعيش بنفس الطريقة، ويسعى في الأرض وليس له هم إلا

إشباع شهوة بطنه وفرجه، ويلهث خلف بعض الحطام حتى يموت، وتنتهي قصة حياة إنسان عاش كالدوابّ، فلم يُضف شيئا على الحياة، وإنما كان زائدا عليها، بل اجعل لحياتك قيمة كبرى ومعنى عظيما، واحذر الدنيا، فكما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من أحب دنياه أضر بآخرته، ومن أحب آخرته أضر بدنياه، فآثروا ما يبقى على ما يفنى" رواه أحمد، واعرف حقيقة الدنيا بوجهها الكالح كما قال تعالى: {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ {32}} سورة الأنعام، { إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاء أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاء فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالأَنْعَامُ حَتَّىَ إِذَا أَخَذَتِ الأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلاً أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِالأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ {24} } سورة يونس.

احذر يا تابع الدنيا، واعرف رفيقك جيدا، فعن ابن عباس قال: (يُؤتى بالدنيا يوم القيامة في صورة عجوز شمطاء زرقاء، أنيابها بادية، مشوّه خلقها، تشرف على الخلائق، فيقال: تعرفون هذه؟ فيقولون: نعوذ بالله من معرفة هذه، فيقال هذه الدنيا التي تناحرتم عليها، بها تقاطعتم، وبها تحاسدتم وتباغضتم واغتررتم، ثم تُقذف في جهنم، فتنادي: أي ربِّ أين أتباعي وأشياعي؟ فيقول الله عز وجل: ألحقوا بها أتباعها وأشياعها) أبو سعيد بن الأعرابي في الزهد/ 8579

وهذا هو مالك بن دينار يعظنا: (اتقوا الدنيا، فإنها تسحر قلوب العلماء)، وقال عنها الحسن البصريّ: (إن الزاد من الدنيا تركها، والغنى فيها فقرها، كالسم يأكله من لايعرفه، وهو حتفه،

فاحذر هذه الدنيا الغرارة الخيالة الخداعة)، ومع كل ذلك فقد عميت أكثر البصار عن تلك الحقيقة الساطعة كضوء الشمس، فاعتبروا الدنيا دار مقر لادار ممر، واتخذوها للبقاء وهي إلى فناء، وظلوا يعملون لها، وهي ما خُلقت إلا للعمل للآخرة، ومع أنهم يوصلون في كل يوم ميت إلى قبره، فهم لايتعظون، ويعودون من القبر إلى اللهو من جديد، وكأن الدور لن يأتي عليهم { يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ }.

أفيقوا قبل أن تغرب شمس حياتكم بلا رجعة، وتذكروا زوال الدنيا، وتأملوا أكثر آية وصفت الدنيا، وما ستئول إليه: {اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ {20}} سورة الحديد، ومع هذا كله فياللأسف فإن أكثر ما يصف حالنا اليوم هو قول الله تعالى: {اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ {1}} سورة الأنبياء

إن الموت يأتي حتما ولامفر منه أبدا للجميع، كما قال تعالى: { كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ {26} وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ {27}} سورة الرحمن، وقد وجّه الله جلّ جلاله الخطاب المباشر للنبي صلى الله عليه وسلم: { إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ {30}} سورة الزمر، وسيأتيك بغتة ودون استئذان، ومهما حاولت الفرار فلا سبيل { قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ {8}} سورة

الجمعة، وسيأتيك في كل مكان وأي مكان تـذهب إليـه { أَيْنَمَـا تَكُونُواْ يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ...{78}} سورة النساء.

وما الدنيا بمقياس الآخرة إلا كساعة من نهار، كما قـال تعـالى: { كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَـارٍ ...{35}} سورة الأحقاف، وسرعان ما ينتقل الإنسان من دار العمـار لدار الخراب، ومن دار الأنس لدار الوحشـة كمـا قـال تعـالى: { أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ {1} حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ {2} كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُـونَ {3} ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ {4}} سورة التكاثر، وستعلم يومها مـا حقيقة الدنيا وما هو القبر؟ إنه الدار الموحشة، تحت التراب، بين الديدان والظلام، والسؤال والحساب، فإما روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار، فماذا تريد منهمـا؟ ومـاذا قـدّمت لمـا تريد؟!!

لاتعش للجسد، فوالله إنه لبال، فإن كان للجسد قيمة ما تركـه الله للدود يأكله، فالقيمة الحقيقية هي قيمة الروح، وما يصدر عنهـا من عمل، وهذا الذي لن تجد والله يومها إلا هو ماثلا بين يـديك: {مَّا عَمِلَتْ} قال تعالى: {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَـتْ مِـنْ خَيْـرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَـدًا بَعِيـدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ {30}} سورة آل عمران.

فإن قلت أنك تريد الجنة، فإن أكثر الناس قد أرادوا النار بأفعالهم، وإن لم تردها قلوبهم، فامتلأت شوارعنا بمن يلبسون ثياب أهـل النار، ومن يفعلون أفعال أهل النار، ومن يطعمون ويشربون طعام وشراب أهل النار، فماذا ينتظر لهم سوى النار{ وَنَضَعُ الْمَـوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّـنْ

خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ {47}} سورة الأنبياء
لاتقل مجرد فيلم، أو مجرد سيجارة، أو مجرد أغنية، فإن عملك محسوب عليك بالذرة، كما قال تعالى: { فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ {7} وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ {8}} سورة الزلزلة، وكل شيء مكتوب في صحيفتك، كما قال جل جلاله: { وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا {49}} سورة الكهف.
فانظر إلى الدنيا واعتبر منها العبرة الكبرى، فكم هلك ممن ملك، وكم فنى ممن علا، وكم ممن انتهى عمره في لحظة تحقق حلمه، ثم ماذا؟
قبرٌ وسؤالٌ وحسابٌ في يوم صعب { يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ { 34} وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ {35} وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ {36} لِكُلِّ امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ {37}} سورة عبس.
فيأيها الناس: { اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ {47}} سورة الشورى، قبل أن تأتي الحسرات وتكثر الآهات والزفرات، في يوم توزّع فيه الأنوار على المؤمنين: { يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ {12} } سورة الحديد، ويواجه فيه المنافقون حقيقة أنفسهم وحقيقة أعمالهم الكاسدة: { يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ {13}

يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَى وَلَكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاء أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ { 14}} سورة الحديد.

فهل تحب يومها أن تكون من هؤلاء أم من هؤلاء؟!!!

حدّد ماذا تريد من الآن، فإن كنت تريد الدنيا، فما أهونها على الله، وما أهون أن يعطيها لك، قال تعالى: {مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لاَ يُبْخَسُونَ { 15} أُوْلَـئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ إِلاَّ النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ {16}} سورة هود، وقال جلّ جلاله: {مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاء لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا {18} وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا {19} كُلاًّ نُّمِدُّ هَـؤُلاء وَهَـؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُورًا { 20}} سورة الإسراء

ولكن ما الفائدة من أن تنال الدنيا وماعليها، ثم تصير إلى الجحيم {قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَى وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً { 77}} سورة النساء، فهل نعقل ذلك قبل يوم القيامة؟ أم أن حب الدنيا قد غلب على القلوب حتى أعماها فلم تعد ترى أن وراءها يوما آخر، كما قال تعالى: { إِنَّ هَؤُلاء يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا {27}} سورة الإنسان، وقال جل جلاله:{كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ {20} وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ {21}} سورة القيامة.

التوبة
طريق السعادة في الدنيا والآخرة

هل تعرفون ما معنى السعادة؟
إن السعادة الحقيقية ما هي إلا سعادة النفس والروح، فهي تأتي من داخل الإنسان لا من خارجه. فإذا نظرنا حولنا سنجد الكثير ممن اجتمعت له أسباب الرفاهية والمتع كلها، ومع ذلك فقد قتلهم الاكتئاب، أو انتحروا. وكم ممن فقدوا في دنياهم كل أسباب الرفاهية، ولكن قلوبهم مصباح مضيء يتوهج نورا وسرورا وسعادة وانشراحا وبهجة، تعرف بم ذاك؟
إنه نور الإيمان، وجنة الرضا واليقين، ولذة الصلة بالله جل جلاله، كما قال تعالى: { مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ {97} } سورة النحل
فوالله الذي لا إله غيره إن النعيم الحق ليس في متع الدنيا مهما عظمت، ليس في المال، ولا في الجاه والسلطان، وليس في المناصب والمراكز الاجتماعية والكراسي الزائلة، ولا في أشهى الطعام والشراب ولا أفخم العطور والثياب، ولا في القصر الكبير والأثاث الفخيم، وليس في السيارة الفارهة والأرصدة الكبيرة في البنوك، وليس في الخدم والحشم، وليس في السفر والرحلات واللهو والمتع، وليس في التلفاز أو الجوال.
وهي ليست في تلك الحرية المزعومة، بأن يفعل الإنسان ما يشاء وقتما يشاء وكيفما يشاء.

لا والله، وما أكثر التعساء ممن يملكون كل هذا وأكثر
إنما السعادة شيء غير ذلك كله، وفوق ذلك كله
إنها صلة بين العبد وربه، وقرب من أبواب السماء
هي ركعات في جوف الليل، وهي استغفار بالأسحار
هي تلاوة آيات الله بقلب حاضر، يبكي قبل العين من خشيته
هي مناجاة بين العبد وربه، وحديث خفي لا يشترك فيه أحد من البشر
هي دعوة مستجابة تخترق أبواب السماء فلا يقفها شيء
هي في جسد يعيش بين الناس وقلبه معلق تحت العرش
هي قلب ممتليء بحب الله وخشيته، وموصول به
هي يقين يملؤ قلب العبد، فلا يخاف من غير الله، ولا يحمل هم الغد، فهو بيد الله
وهي رضا يسيطر على الجوارح والأركان، فلا يجزع ولا يسخط من قضاء الله، لعلمه أنه كله له خير
هي صدقة خفية، يعطيها لمحتاج يمسح بها عنه شقاءه
هي في تعلم الدين وتعليمه، في مجالس الذكر وحلقات العلم في رياض الجنة
هي في الاعتكاف في المساجد، ما بين ذكر وتلاوة ودعاء واستغفار
هي نظرة للكعبة، وركعتين في جوفها، وشربة من ماء زمزم.
هي سلام على المصطفى صلى الله عليه وسلم، وركعتين في روضته الشريفة.
هي ميتة في سبيل الله، والله عنا راض
هي أن يحسن مبيتك في القبر في أول ليلة تنزله وحدك، وأن

يصير روضة من رياض الجنة.
هي فرحك بلقاء الله، وفرح الله بلقائك، يوم العرض عليه والوقوف وحدك بين يديه
هي حسن قدومك على الله كالغائب يقدم على أهله
هي أن تلقى الأحبة محمدا وصحبه في روضات النعيم

ووالله الذي لا إله غيره، ما ضر العبد بعد ذلك كله – ما أخذ من الدنيا وما ترك، وماذا وجد وماذا فقد؟ وماذا ربح وماذا خسر، لأنها ماهي إلا دار اختبار فقط، وهو عنها راحل، وهي إلى زوال وفناء، ولأنها حقيرة ومتاعها تافه ومنغّص ولو لم يزل، فما بالنا وهو عنا زائل؟!!!
بل إن متاع الدنيا لا يغني النفس أبدا، ولاتشبع منه أبدا، فكلما حصل الإنسان على شيء منه طمع في المزيد، فلو كان لابن آدم واديا من تراب لتمنى واديان ولا يملؤ جوف ابن آدم إلا التراب.
ثم هو لا ينفع يوم القيامة، ولايغني من عذاب الله شيئا
متاعها مكدر بالكبد والمشقة والكدر والبلاء والمنغصات، فكيف بابتلاءاتها ومحنها وآلامها؟!!!
لاتأمن فيها – وإن ملكت العالم بأسره – أن تحيا لغدٍ، أو أن تمرض أو أن تفتقر، أو أن تفقد أحبتك، لا تأمن فيها على شيء أبدا.
فوالله ما العيش إلا عيش الآخرة
لو علمت كل ذلك، فاعلم أنك لابد أن تعجل بالتوبة، وتفيق من الذنوب والغفلة قبل ألا ينفعك الندم.
احذر فالتسويف من جنود الشيطان، وتأجيل التوبة ذنبٌ، وهو من

علامات ضعف الإيمان، والمقيم على المعاصي في حزب الشيطان، والإصرار على الصغيرة يحوّلها لكبيرة.

==========

لماذا نتوب؟

لأننا أذنبنا كثيرا، ولأن للذنوب عواقب وخيمة، فهي سبب كل بلاء في الدنيا قبل الآخرة، كما قال صلى الله عليه وسلم: " إياكم ومحقّرات الذنوب، فإنهن يجتمعن على الرجل حتى يهلكنه" صحيح لغيره، كما قال صلى الله عليه وسلم للسيدة عائشة: " يا عائشة؛ إياك ومحقّرات الذنوب، فإن لها من الله طالبا " حديث صحيح.

ولأن التوبة أمر من الله جل جلاله، كما قال تعالى: { وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ {31}} سورة المؤمنون، وقال تعالى: { وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ {11}} سورة الحجرات.

ولأن التوبة تغسل الذنب كما يغسل الماء الثوب، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " التائب من الذنب كمن لا ذنب له" حديث حسن.

ولأن التوبة سبب تبديل السيئات إلى حسنات، كما قال تعالى: { إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا {70}} سورة الفرقان.

ولأن الذنوب تنقص الإيمان، والتوبة تعيد صاحبه إلى طائفة المؤمنين، حتى ولو كان منافقا، قال تعالى: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا {145} إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ

وَأَصْلَحُواْ وَاعْتَصَمُواْ بِاللّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلّهِ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا {146}} سورة النساء.

ولأن الشيطان يكره التوبة، ونحن نعادي الشيطان، ونحب أن نغيظه بطاعتنا.

ولأن التائب حبيب الرحمن، كما قال جلّ جلاله: {إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ {222}} سورة البقرة.

فالتوبة إذن هي سبب النجاة في الدنيا والآخرة.

والذنوب هي التي تقطع الرحمة عن العبد، كما قيل: (رجاؤك رحمة من لا تطيع من الخذلان والحمق)، وكما قال ابن القيم: (والعبد يعرف أن المعصية والغفلة من الأسباب المضرة له في دنياه وآخرته ولابد، ولكن تغالط نفسه بالاتكال على عفو الله ومغفرته تارة، وبالتسويف بالتوبة والاستغفار باللسان تارة، وبفعل المندوبات تارة، وبالعمل تارة، وبالاحتجاج بالقدر تارة).

==========

هل تعلم ما هي التوبة؟

إن التوبة لاتكتمل إلا بثلاثة أشياء:

ندم على المعصية، وهذا عما مضى

وإقلاع عن الذنب، وهو متعلق بالحاضر

وعزم على عدم العودة، وذلك متعلق بالمستقبل

وهناك رابعة لمن وقع في مظالم العباد، من الغيبة والبهتان، والقذف، وسوء الظن، ومن السطو على حقوقهم المالية غصبا أو

سرقة، ومن الإيذاء باليد أو اللسان، كما ورد في حديث المفلس: فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، فقال: المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا، فيُعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه، أخذ من خطاياهم فطُرحت عليه، ثم طُرح في النار" رواه مسلم والترمذي

والتوبة من ذلك هي إما بطلب عفوهم، أو برد المظالم إلى أهلها، والتكلم عنهم بخير في تلك المجالس التي ذكرتهم فيها بسوء، والذبّ عن أعراضهم التي نلت منها.

==========

وإليك ما قاله الشيخ محمد صالح المنجد عن شروط التوبة الصحيحة ، بتصرف:

1- لايسمى تائبا من ترك الذنب لعدم المقدرة عليه، أو خوف كلام الناس، فلابد من الإخلاص لله.

2- لايمكن أن يسمى تائبا من يستشعر اللذة بذكر الذنوب والمعاصي، بل لابد أن يستقبحها.

3- لابد من المبادرة بالتوبة، فالتأجيل ذنب، فالمسلم الذي يؤخر التوبة إلى وقت محدد، هو مُصِرٌّ على الذنب، كمن يقول: لو جاء رمضان أتوب، وهو عازم على التوبة حقا في رمضان، ومع ذلك فهو مذنب ومُصِرٌّ على ذنبه.

4- لابد من الخشية من عدم القبول، وعدم الأمن من مكر الله.

5- يجب استدراك ما فات، كإخراج الزكاة التي منعها في

الماضي.
6- يجب مفارقة موضع المعصية، كما في حديث قاتل المائة، حين قال له العالم: " انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء " حديث صحيح.
7- يجب مفارقة كل من أعانه على المعصية.
8- يجب إتلاف المحرمات التي عنده (وسائل المعصية)، وإلا ستكون سببا في النكوص، والرجوع عن التوبة بعد الهدى.
9- يجب اختيار الرفقة الصالحة التي تعينه على الطاعة بعد التوبة.
10- لابد من تصريف طاقة البدن في الطاعات، وتحري الحلال، ليثبت على توبته.
11- يجب أن يتوب العبد قبل أن يغرغر، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر" رواه ابن ماجه. انتهى كلامه

==========

من يحتاج التوبة؟

كل المؤمنين يحتاجون التوبة، ويحتاجها العاصي والناسي والغافل، قال تعالى: { إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَـئِكَ يَتُوبُ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً {17}} سورة النساء، وقال تعالى: { كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ {54}} سورة الأنعام، وقال تعالى: { فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ

{{39}} سورة المائدة.

==========

وأما ما يعينك على التوبة

1- الخوف من الله.

2- تذكر الموت والآخرة.

3- مرافقة الصالحين.

4- الانتصار على النفس في حبها للذنب. ولعلي إن شاء الله أفرد لهذا الموضوع كتابا فيما بعد.

==========

لِم لا نتوب الآن؟!!

ما الذي يمنعك من التوبة؟!!!

سل نفسك الآن: لم لانعود إلى الله؟!!!

ما الذي فعله بنا الله كي نبتعد عنه كل هذا البعد؟

إنه يدعونا ليغفر لنا، ويدخلنا جنات النعيم لننعم فيها فلا نبأس أبدا، ففيها من النعيم ما لايخطر على بال، قال تعالى: { فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاء بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ {17}} سورة السجدة

أهذا أفضل؟ أمّن يأتي نادما خاسرا يوم القيامة، قال تعالى: {وَتَرَاهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ {45}} سورة الشورى.

فإن كنت لاتستطيع مفارقة ذنبك وقد تعلّق قلبك به تعلقا شـــديدا، فاعلم أن الذي خلق السموات السبع الشداد، والأرضـــين الســـبع العظام، وخلق المجرات والأفلاك والأكوان، وخلقك فأبدع في خلقك بقادر على نزع تلك المعصية من قلبك بكلمة كـــن فيكـــون، ومـــا أهون ذلك على الله، ولكننا تنقصنا الثقة في الله، وحسن التوكـــل عليه، وقوة الاستعانة به، قم إلى ربك فـــي ثلـــث الليـــل الآخـــر، واطرح نفسك ساجدا له، واطرح قلبك بين يديه متذللا متضـــرعا يارب طهّر قلبي، خلصني من ذلك القلب المريض وأبدلني به قلبا يعرفك ويحبك ويخشاك، يارب قلبي بين يديك تصرفه كيف تشـــاء وهاقد طرحت بضاعتي المزجاة لعلك أن تقبلها مني.

فوالله الذي لاإله غيره إن القلوب لتتحـــول فـــي لحظـــة صـــدق وإخلاص من الفجور والعصيان للتقوى والإيمان، ومن الظلمـــات إلى النور، ومن عشق الدنيا والغرام بها والعيش من أجلها لقلـــب يعيش بين الناس وقلبه معلق تحت العرش، ولكن تنقصنا لحظـــة الصدق والإخلاص، وقوة الاستعانة واليقين!!!

==========

مريض العناية المركزة

أنقلها لكم من كتاب (حطّم صنمك) للدكتور مجدي الهلالـــي، صـــ 81

فلعلك تعلم من هو صاحب الفضل عليك، لتفيق مما أنت فيه مـــن الغفلة:

(قد يدخل مريض إلى الرعاية المركزة، وهو بين الحياة والموت، فهو لايستطيع الحركة ولا النطق.. لديه نقصٌ شـــديدٌ فـــي الـــدم، وعدم قدرة على التنفس، وضعف في القلب، وفور دخـــول هـــذا

المريض إلى قسم الرعاية المركزة يتم إمداده بأنابيب وتوصيلات مختلفة، واحدة تضخ له الدم، وثانية للتنفس، وثالثة للقلب، ورابعة للتغذية...

وبمرور الوقت تبدأ حالة المريض في التحسن، ويبدأ في استرداد عافيته، فما السبب في ذلك؟

بلا شك أن ما تم توصيله إليه من إمدادات كان له دور كبير في تحسن حالته، ولو أغلقت محابس تلك الإمدادات لتدهورت صحته مرة أخرى

ولله المثل العلى...فحالنا مع الله عز وجل، وحاجتنا إلى إمداداته المتوالية علينا أشد من حاجة هذا المريض لما تم توصيله إليه من إمدادات، فهذا المريض دخل إلى المستشفى وهو يعاني تدهورا في بعض أجهزة جسمه، أما نحن بدون الله عز وجل فلا قيمة لأي خلية من خلايانا ولا عضو من أعضائنا ولا جهاز من أجهزتنا، فالمدد الإلهي المتواصل لنا يشمل كل ذرة من ذرات أجسامنا، فإن توقف هذا المدد فلن نستطيع أن نستعيده {مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ {2}} سورة فاطر

معنى هذا أن كل خير نحن فيه يتوقف على استمرار المدد من الله في كل لحظة وطرفة عين، وكل نعمة توجد عند شخص ولا توجد عند آخر تعكس وجود مدد إضافي للرحمة الإلهية عند هذا الشخص).

فاعلموا قدر حاجتنا إلى الله عز وجل، كما قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاء إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ {15} إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ {16} وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ {17}}

سورة فاطر، فإن لم نتدارك أمرنا بالتوبة فمن سيحمينا من الله؟!!! كما قال تعالى: { قُلْ مَن ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُم مِّنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا {17}} سورة الأحزاب.

ثم ما أسرع مرور الدنيا، إنها تولي بسرعة عجيبة، فكل يوم يمر علينا وكل لحظة تذهب عنا نقترب من القبر خطوة، كما قال الحسن البصري: (يا ابن آدم: إنما أنت أنفاس، فإذا ذهب بعضك يوشك أن يذهب الكل)، {فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ {5} } سورة فاطر.

==========

لماذا ننسى التوبة؟

إن ما يمنعك من التوبة واحد من تلك الأسباب:

إنك مقيّد، قيدتك ذنوبك ومعاصيك عن العودة إلى ربك وباريك.

إنك متعلّق، تحب الدنيا وتؤثر الفاني على الباقي.

إنك مشغول، تنشغل بما أنت مريد له عما يُراد بك، وتنشغل عن الموت الذي يطلبك، بما أنت طالبه من الدنيا.

إنك جاحد، تجحد نعمة الملك الذي تمتد يده لك بالعطايا في كل دقيقة، بل في كل طرفة عين، بل أقل من ذلك.

إنك مسوّف، تمنّي نفسك بالغد الذي ستتوب فيه، وأنت لا تعلم أيأتيك الغد أم ستكون فيه من المقبورين.

إنك جاهل، تركت الخالق المُنعم الرزاق الذي يريد لك خيري الدنيا والآخرة، والذي لاتستغني عنه طرفة عين، وذهبت للعدو الذي يتربص بك الدوائر ليسوقك إلى جهنم وبئس المصير، ونسيت

عتاب الله لك: {أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاء مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا {50}} سورة الكهف
إنك مغرور، غرّتك نفسك، وغرّتك الأمانيّ، وحسبت أنك تستطيع أن تستغني عن فضل الله عليك، ولو لبعض الوقت.

اعرف قدر حاجتك لربك، وعلى هذا الأساس تحرّك، وكما جاء في كتاب حطّم صنمك – بتصرف يسير: (إن حاجتنا إلى الله أشد من حاجة الرضيع لأمه، فالقلب مثلا يحتاج لله في كل لحظة كي يستمر في الخفقان، واستقبال الدم المحمّل بثاني أكسيد الكربون وإعادة تحميله بالأكسجين وضخه مرة أخرى للقلب فيما لايقل عن سبعين مرة في الدقيقة،
بلايين الخلايا داخل الجسم تحتاج في كل لحظة لتعاهد ورعاية لاستمرار آداء وظيفتها الحيوية، وعدم التحول لخلايا سرطانية تخيل نفسك وقد أوكل إليك شئون إدارة جسمك من حواس وغدد وأعضاء وأجهزة.... ملايين العمليات الحيوية التي تتم كل لحظة، عليك أن تديرها بنفسك، هل تستطيع فعل ذلك، ولو للحظة واحدة؟!!!) انتهى، فإن كنت عن حماية نفسك في الدنيا عاجزٌ كل العجز، فكيف أنت في الآخرة، {يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوَءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ وَاللّهُ رَؤُوفُ بِالْعِبَادِ {30}} سورة آل عمران.
وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ

==========

أنت الآن سيد أمرك، أمهلك الله لتتوب وتعود فتُمحى ذنوبك في لحظة صدق بممحاة التوبة وكأنها ماكانت

لكنك غدا وبعد أن تموت وتوضع في قبرك، ستصير بلا حول ولاقوة، وبلا إرادة تختار بها، ولن ينفعك يومها إلا عملك الصالح، وتجنّبك لما حرّم الله عليك.

هل تريد السعادة؟ هل تريدها بصدق؟

اعلم أنك لن تعرفها، ولن تتذوق لها طعما إلا في طاعة الله {وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا...{124}} سورة طه.

واحذر من عقوبة التسويف، فقد يمنعك الله من التوبة، كما قال تعالى: {وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ... {24}} سورة الأنفال، وإن أتاك الموت بغتة فلن تستطيع أن تتوب { إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَـئِكَ يَتُوبُ اللّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللّهُ عَلِيماً حَكِيماً {17} وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ وَلاَ الَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَـئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا {18} } سورة النساء.

واحذر أيها الصالح أن تعيّر مذنبا بذنب قد تاب إلى الله منه، فكما قال بعض السلف: **(من عيّر أخاه بذنب – قد تاب منه – لم يمت حتى يعمله)**.

وتذكر نعمة الله عليك بأن وفقك للتوبة، وأنجاك من نجاسة المعصية التي يقترفها غيرك:{ كَذَلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللّهُ عَلَيْكُمْ ...{94}} سورة النساء.

واشغل نفسك بالإصلاح لتحفظ نفسك عن الالتفات لذنوبك القديمة، وليتوب الله عليك توبة من عنده، قال تعالى: { فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ {39 } }

سورة المائدة

==========

حطّم وثنك الذي يقيّدك عن ربك
حطّم كل ما يبعدك عنه
حطّم السيجارة
حطّم العلاقة المحرمة
حطّم التلفاز
حطّم الأوهام
حطّم كل ما يمنعك عن الله، وأنت أعلم به من أي إنسان آخر
حطّمه قبل أن يحطمك

{ وَأَنِ اسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَى أَجَلٍ مُّسَـــمًّى وَيُؤْتِ
كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ {3} }
سورة هود

طريق الخلاص من أي معصية

بعد كل ماذكرناه من يسر يسره الله علينا ليعيننا على طاعته ومرضاته، فقد بقي لنا يسر آخر يذلل لنا التخلص من المعاصي، وقد يسر الله ذلك على من أراد بصدق أن يتخلص من معصيته وأن يكون عبدا صالحا يحيا على مرضاة ربه.

1- الاستعانة بالله، مع حسن الظن به:

فالله سبحانه وتعالى هو الذي بيده مفاتيح القلوب وبيده الهداية، وبيده إجابة الدعاء، كما أننا لن نعبده إلا بمعونته، فلنستعن به على طاعته، كما قال تعالى: {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ {5}} فاتحة الكتاب، فنحن نستمد منه جل جلاله العون على القيام بما أمرنا به واجتناب ما حرّمه علينا، والطريق إلى ذلك هو الدعاء، وكلما استكثرنا من الدعاء فقد استكثرنا من الخير.

وعلى من يرغب أن يستجيب الله له أن يراعي آداب الدعاء، وأوقات الإجابة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " أقرب ما يكون العبد من ربه عز وجل وهو ساجد، فأكثروا الدعاء " رواه مسلم، وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: " قيل يا رسول الله أي الدعاء أسمع؟ قال: جوف الليل الأخير ودبر الصلوات المكتوبات " رواه الترمذي، وفي حديث لمسلم والترمذي: "لا يزال يستجاب للعبد ما لم يدع بإثم أو قطيعة رحم، ما لم يستعجل، قيل يا رسول الله ما الاستعجال؟ قال: يقول قد دعوت وقد دعوت فلم أر يستجب لي، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء " حسن لغيره، وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " القلوب أوعية وبعضها

أوعى من بعض، فإذا سألتم الله عز وجل يا أيها الناس فاسألوه وأنتم موقنون بالإجابة، فإن الله لا يستجيب لعبد دعاه عن ظهر قلب غافل " رواه أحمد بإسناد حسن، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: " ادعوا الله وأنتم موقنون بالإجابة، واعلموا أن الله لا يستجيب دعاء من قلب غافل لاه " رواه الترمذي، وعن علي رضي الله عنه قال: كل دعاء محجوب حتى يصلى على محمد صلى الله عليه وسلم رواه الطبراني، وعلى من أراد أن يستجيب الله له أن يحسن الظن بربه، فالله عند ظن عبده به، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " قال الله عز وجل: أنا عند ظن عبدي بي، وأنا معه حيث يذكرني، والله لله أفرح بتوبة عبده من أحدكم يجد ضالته بالفلاة، ومن تقرّب إليّ شبرا تقربت إليه ذراعا، ومن تقرّب إليّ ذراعا تقربت إليه باعا، وإذا أقبل إليّ يمشي أقبلت إليه أهرول " رواه مسلم، وأهم ما يستجاب به الدعاء المطعم الحلال، فأطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة.

2- الإخلاص لله في تركها:

فالعمل الخالص لله هو فقط ما يؤجر عليه العبد، وهو وحده الذي ينال به العبدُ العونَ من الله جلّ وعلا، فالذي يترك المعصية لله ينصره الله قال تعالى : { وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ {40}} سورةالحج ، وأما الذي يتركها للناس أو للجاه أو لكبر السن أو لعدم قدرة عليها أو لغير ذلك، فلا نصرة له، ولا أجر كذلك، وما أسرع أن يتصيده الشيطان في حبائله ليعود إلى ذنبه من جديد أو أن يتصيده في معصية جديدة، فلنترك الذنب لله،

فننعم بمعونة الله وننال الأجر من الله.

3- صدق التوبة والرغبة:

فالتوبة الصادقة تجُبُّ ما قبلها وتُبيِّض الصحائف، فتمحو الذنوب القديمة، بشرط أن تكون صادقة، فيكون الندم حقيقيا وقويا، ويكون ترك الذنب جازما، ويكون العزم على عدم العودة صارما، فإن كان هناك مظالم فسارع بإرجاعها، قال تعالى : { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ { 8}} سورة التحريم، وقال تعالى : { فَمَن تَابَ مِن بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ {39} } سورة المائدة، وقال تعالى : { كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِن بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ { 54}} سورة الأنعام، وقال تعالى: { وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى {82} } سورة طه، وقال تعالى في آية من أعظم آيات التوبة، والتي تفتح باب الأمل أمام كل عاص مهما كان ذنبه عظيما: {وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا {68} يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا {69} إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا {70 } وَمَن تَابَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَإِنَّهُ يَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مَتَابًا {71}} سورة الفرقان، وعن أبي هريرة

رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه " رواه مسلم، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر " رواه ابن ماجه والترمذي وقال حديث حسن.

4- مجاهدة النفس، والصبر على محنة التوبة:

والمجاهدة مأخوذة من الجهد والإجهاد، فمجاهدة النفس تعني أن ندافع نفسنا الأمَّارة بالسوء ونقاوم رغباتها ونبعدها عن الذنوب والمعاصي ونرغمها على ذلك إرغامها، وكذلك أن ندفعها للطاعة ونرغمها على العمل الصالح حتى تستقيم عليه، كمن يجر دابته العنيدة مصرا على إدخالها في حظيرتها وهي تريد الفرار والحرية، فالنفس كالدابّة سواء بسواء، وهي أكثر منها عنادا وحماقة وجهلا وعجلة، فأنت تجذبها للخير وهي تجذبك للشر، وأنت تدفعها بعيدا عن المهاوي وهي تصر على السقوط، لكن العاقل الحكيم سيظل يجاهدها حتى يقيمها على الطريق المستقيم رغم أنفها فيعاند نفسه ولا يعطيها مرادها الذي سيهلكها كما يبعد النار عن الطفل الصغير وهو مصر على أن يلعب بها ويلهو، وقد كفل الله للمجاهد أن ينصره على معصيته ويعينه على نفسه ويقيمه على الطاعة، **ولكن ذلك مرهون بشرطين:** أن يجاهد نفسه بحق، وأن يكون هذا الجهاد خالصا لله وابتغاء مرضاته، فإن فعل فإن الله مُنجزٌ وعده الذي أكَّده بالهداية، ثم ينعم على المحسن بالمعية، قال تعالى: { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ {69} } سورة العنكبوت، فالنفس جُبلت على أنها

إذا تُركت رتعت في الذنوب والمعاصي، وإذا عُوِّدت على الخير اعتادته، فالبخيل الذي يتكلف النفقة مدة طويلة ينقلب كريما، وتاركة الحجاب والحياء التي تتكلف لبس الحجاب والتعامل بحياء سرعان ما تعتاد ذلك وتألفه حتى إنها لا تستطيع العودة عنه، وكذلك تارك الصلاة والكاذب وصاحب المال الحرام... وهكذا ، والمجاهدة هي الموصلة للتزكية التي أمرنا الله بها، قال تعالى: { وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا {7} فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا {8} قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا {9} وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا {10}} سورة الشمس، وهي تعني – كما في تفسير ابن كثير – من زكّى نفسه بطاعة الله، وطهّرها من الأخلاق الدنيئة والرذائل، وقال تعالى: { جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاء مَن تَزَكَّى {76}} سورة طه، وقال تعالى: { قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّى {14} وَذَكَرَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلَّى {15}بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا {16} وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى {17}} سورة الأعلى، فمجاهدة النفس وتزكيتها فيها فلاح الدنيا والآخرة، وعلينا أن نتذكر دائما أننا حين نجاهد أنفسنا إنما نسعى في فكاك رقابنا ونجاتنا نحن، فالله غني عنا وعن عبادتنا قال تعالى: { وَمَن تَزَكَّى فَإِنَّمَا يَتَزَكَّى لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ {18}} سورة فاطر، وقال تعالى: { وَمَن جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ {6} } سورة العنكبوت، وقال تعالى : { وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ {40}} سورة النمل.

وأما عن الصبر على محنة التوبة، ففي الغالب أن التائب بعد أن ينعم الله عليه بالتوبة، قد تأتيه في بداية المرحلة الجديدة أوقات يحس فيها بالندم على ما ترك والحنين لمعصيته ولرفقة السوء التي كانت تعينه عليها وربما تمنى لو عاد وترك ماهو فيه

وضاقت نفسه، وهذا الشعور طبيعي من جهتين: الأولى: أن النفس التي تركت ملاذها تعترض وتظهر تأففها من الوضع الجديد، والثانية: أنه الاختبار الذي يتمحص به الصادق من الكاذب والثابت من المراوغ، قال تعالى: { أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ {2} وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ {3}} سورة العنكبوت، وقال تعالى: { أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ {142}} سورة آل عمران، فإن صابرت نفسك في هذا الوقت العصيب وجاهدتها، وكابدت مشقة الثبات على الحق، ولزمت الاستغفار والدعاء والاستعانة بالله حتى تنتصر عليها، فستنقلب المحنة منحة، وسينقلب البلاء سعة ورحمة، وإن استجبت لها وعدت أدراجك ركبتك الدّابة ولم تعد قادرا على قيادتها وإنما ستقودك لحتفك وستهلكك.

5- الخوف الدائم من الله:

فالله سبحانه وتعالى خلقنا لطاعته، وكما أعد جنات تجري من تحتها الأنهار للطائعين، فقد أعد الجحيم للعصاة – نسأل الله السلامة، فإن تذكر صاحب المعصية نار جهنم وما فيها من أصناف العذاب فإن ذلك يصده عن معصية الله، قال تعالى: { قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ {15} لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ النَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ {16}} سورة الزمر، وقد جعل الله عاقبة الخوف منه أمنا ونعيما يوم القيامة قال تعالى: { وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ {46}} سورة الرحمن،

وقال جل جلاله: { فَإِذَا جَاءتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى {34} يَــوْمَ يَتَــذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَى {35} وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَى {36} فَأَمَّا مَــن طَغَى {37} وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا {38} فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِــيَ الْمَــأْوَى { 39} وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى {40} فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى {41}} سورة النازعات، وفي الحديث عن أبــي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يــروي عن ربه جل وعلا أنه قال: " وعزّتي لا أجمع على عبدي خــوفين وأمنين، إذا خافني في الدنيا أمّنته يوم القيامة، وإذا أمنّنــي فــي الدنيا أخفته في الآخرة " رواه ابن حبان في صحيحه، فمن خــاف نجا وسلم من عذاب الله، ونجا من شراك الشيطان التي ينصــبها للغافلين.

وأما يجلب الخوف للقلب فهو تذكر الموت {أَيْنَمَا تَكُونُواْ يُــدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ } سورة النساء، وتــذكر القــبر فعن البراء رضي الله عنه قال: " كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في جنازة، فجلس على شفير القبر فبكى حتى بلّ الثرى، ثم قال يا إخواني لمثل هذا فأعدّوا " رواه ابن ماجه بإســناد حســن، وأتذكر هوال يوم القيامة { فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ {4}} سورة المعارج، وتذكر العرض على الله {يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ {18}} سورة الحاقة، وتذكر تطــاير الصــحف { يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِــهِ فَأُوْلَــئِكَ يَقْرَؤُونَ كِتَابَهُمْ وَلاَ يُظْلَمُونَ فَتِيلاً {71} وَمَن كَانَ فِي هَــذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً {72}} سورة الإسرا، وتــذكر وزن الأعمال { وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَــئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ {8} وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُوْلَــئِكَ الَّــذِينَ خَسِــرُواْ

أنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِآيَاتِنَا يظْلِمُونَ {9}} سورة الأعراف، وتذكر المرور على الصراط { يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم} سورة الحديد، ثم تذكر مصير أهل الشقاء :{ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا {21} لِلْطَّاغِينَ مَآبًا {22} لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا {23} لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا{24} إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا {25}} ، إنها أهوال وراء أهوال، وصدق الله العظيم إذ يقول: { لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ {19}} سورة الانشقاق، حين نتذكر الموت الذي ينقلنا من ظهر الأرض لبطنها ومن الأنس للوحشة ومن الفراش اللين والمطعم الحسن والملبس الحسن لافتراش التراب وفراق الأحباب وأن يأكل الدود أجسادنا في قبر ضيق مظلم، حين نتذكر كل ذلك تهون الدنيا بما فيها، ولا نجد لنا ملجئا إلا الله، فيكون السبيل الوحيد أن نفرّ منه إليه: { فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ {50}} سورة الذاريات.

6- شغل النفس بالطاعة، خاصة قيام الليل والقرآن ولزوم المسجد:

فالفراغ هو سبب كل شر، والنفس الفارغة يتلاعب بها الشيطان، ويستدرجها أصحاب السوء، فإن لم تشغل نفسك بالطاعة شغلتك بالمعصية، لذا فعليك أن تحاصرها بالأعمال التي تستجلب بها رضا الله، قال تعالى لنبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم: { فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ {7} وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ {8}} سورة الشرح، فإذا فرغت من طاعة فانصب في أخرى وانشغل بها.

وقيام الليل: من خير الأعمال المعينة على الثبات {إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْءًا وَأَقْوَمُ قِيلًا {6}} سورة المزمل، فالليل أجمع للقلب

مع اللسان، وأكثر تأثيرا في القلب، فتكون تلاوة الليل معينة على الثبات بالنهار إذا قابلت الفتن.

وأما عن القرآن: فهو الحبل المتين الذي إن استمسكت به حماك من السقوط في مهاوي المعاصي وبراثن الشيطان، وهو شفاء القلوب من أمراضها قال تعالى: { يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ {57} قُلْ بِفَضْلِ اللّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ {58}} سورة يونس، وهو النور المبين الذي يهدي للرشاد قال تعالى: { قَدْ جَاءكُم مِّنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ {15} يَهْدِي بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنِ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ {16}} سورة المائدة: وعن أبي شريح الخزاعي قال : خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : "[أبشروا] أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟ قالوا: بلى، قال إن هذا القرآن [سبب] طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم، فتمسكوا به فإنكم لن تضلوا ولن تهلكوا بعده أبدا " رواه الطبراني في الكبير بإسناد جيد، وكما قيل: (مفتاح حياة القلوب: ترك الذنوب، وتدبر القرآن ، والتضرع بالأسحار).

وأما عن لزوم المسجد: فقد قال الله عز وجل: { فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ { 36} رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاء الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ {37}} سورة النور، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من غدا إلى المسجد أو راح، أعد الله له في

الجنة نزلا كلما غدا أو راح " رواه البخاري ومسلم، وعن سلمان رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " من توضأ في بيته فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد فهو زائر الله، وحق على المزور أن يكرم الزائر" رواه الطبراني، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " أحب البلاد إلى الله تعالى مساجدها، وأبغض البلاد إلى الله أسواقها " رواه مسلم، وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " ما توطن رجل المساجد للصلاة والذكر إلا تبشبش الله تعالى إليه كما يتبشبش أهل الغائب بغائبهم إذا قدم عليهم " رواه ابن أبي شيبة وابن ماجه، وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إن الله ليضيء للذين يتخللون إلى المساجد في الظلم بنور ساطع يوم القيامة " رواه الطبراني، فأبشروا بنور الله إن جعلتم من المسجد بيتكم الثاني، تحن له أفئدتكم وتحوم حوله قلوبكم، واستبشروا بالخير الكثير، فالقلب الذي يسكن المسجد ويسكنه المسجد يستحيل أن يعشش فيه الظلام، كيف وقد امتلأ بالنور؟!!! وبشراكم العظمى أنكم كما استظليتم في الدنيا بالمساجد من وهج المعاصي وبريق الفتن وشيوع الفواحش، فسيظلكم الله يوم القيامة من حر الشمس ولفحها المحرق بظله جل جلاله، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، والشاب نشأ في عبادة الله عز وجل، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابا في الله اجتمعا على ذلك وتفرقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل

ذكر الله خاليا ففاضت عيناه" رواه البخاري ومسلم

7- الانشغال بالعمل لدين الله:

فالعامل لنصرة دينه موعود بالنصر، قال تعالى: { وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ {40} الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ {41}} سورة الحج، وما أحوجنا مجتمعاتنا في تلك الأيام التي ضاعت فيها القيم والأخلاق، وذهب الدين إلا ما رحم الله، ما أحوجنا لمن يعمل لنصرة هذا الدين، وما أحوج شبابنا لهذه الدعوة التي تعينهم على تقوى الله، وتعينهم على الثبات على الحق الذي معهم، فالذي ينشغل بالدعوة حق الانشغال يذهل بها عن كل متع الدنيا، بل والله يذهل بها عن نفسه وعن طعامه وشرابه، وعن قضاء حاجاته الهامة، فوالله الذي لا إله غيره إن من انشغل بالدعوة حق الانشغال لا يجد وقتا ليشاهد المعاصي أو ليلتفت للمتع والفتن، والأهم أن قلبه يكون مشغولا بدعوته وعبادته فلا يجد الشيطان إليه سبيلا، وإني لأجد الدعاة الصادقين الحاملين بصدق لهمّ الدعوة ولقضية الأمة المخلصين لربهم والثابتين في ميدان الحق هم أقوى الناس في مواجهة الشيطان وفتنه وحيله وفي مواجهة النفس وخدعها وهواها، وهم أكثر الناس انشغالا عن التفاهات والترهات فاستمسك بذلك الطريق، فإنك ستكون خنجرا في نحر العدو، في نحر كل عدو، وستصرع عدوك الذي يتربص بفتنتك في صميم فؤاده، وستصرع أعداء الأمة الذين يتربصون بها الدوائر – عليهم دائرة السوء.

8- الرفقة الصالحة:

فالصاحب ساحب، فإن كان صالحا فهو خير معين على طاعة الله وتقواه، وإن كان فاسدا فهو سبب كل شر وبلاء في الدنيا والآخرة، فالمرء على دين خليله، ولايزال صاحب السوء بصاحبه حتى يوقعه فيما هو واقع فيه من الشرور والآثام ثم يصير معه إلى مصيره الأسود، قال تعالى في حكاية إحدى أعظم حسرات يوم القيامة وهي ندم من صاحب عاصيا جرّه لمعصية ربه: { يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا {28} لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا {29}} سورة الفرقان، وعن أبي موسى رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إنما مثل الجليس الصالح والجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحا خبيثة " رواه البخاري ومسلم.

فلا تدّعن نفسك في يد غير أمينة، كما تخاف على كنزك الثمين من اللص والرجل الخائن، فخف على دينك وآخرتك من صاحب السوء، فإنه والله سبب كل شر، وإنه لن يدعك حتى يوردك المهالك، فإن تبت إلى الله من ذنب فسارع بخلع كل من كان يعينك عليه كما تخلع حذاء باليا وتلقي به في سلة القمامة غير آسف عليه ولا نادم، ولا يخدعك الشيطان بوهم أنك ستعينهم على التوبة، فذلك المدخل كم ضلّ فيه من ضلّ، وزلّت فيه الأقدام، وكسرت فيه الأعناق، حين ذهب ليدعوهم فأوردوه المهالك، وأخذوه لحيث لاينفع الندم، فلتحذره على دينك كما تحذر أن تترك امرأتك مع رجل كافر ثمل، فإن شئت أن تدعوه للتوبة فاجعل بينك

وبينه صاحب خير معين قوي في طاعته وإيمانه، يرافقك في دعوتك له ويعينك عليه، ولا تخلونّ به في دعوة حتى يشتد عودك ويقوى إيمانك وعزيمتك، وإني والله لأتحسر كلما أتذكر قصة شاب تاب ثم عاد من توبته لمعصيته فقبض عليها، فيالها من حسرة لاتعدلها حسرة، ويالها من كارثة لا تعدلها كارثة، وقد قرأت في هذا الحدث الشنيع كثيرا من القصص وكان الدور الرئيسي يلعبه صاحب السوء، فما إن يتوب الشاب وينصلح حاله حتى يقول لن أدع صديقي إني أحبه وسأصحبه معي في طريق التوبة حتى أنقذه من النار، وقد كان أحد هذه القصص عن شباب كانوا معا في طريق المعصية فتاب أحدهم ولما تاب ذهب يدعوهم فقالوا له أن يذهب معهم في إحدى السفرات، وأن يكتفي بالجلوس في غرفته ولا يقدم على المعصية فهم يرغبون في دعوته لهم حتى يمنعهم من الفاحشة، فسافر معهم رجاء أن يكون سببا في هدايتهم ويال خطى الشيطان المتدرجة، فقد مكث في الفندق أياما لا يخرج في بلد يعج بالفتن والمعاصي ينأى بنفسه عنها، حتى أوشكت الرحلة على نهايتها، فغضب أصدقاؤه كثيرا لأنهم لم يفلحوا في جعله يعصي الله معهم، فخططوا لخطة أخيرة أن يدخلوا عليه بغيا من بغاياهم ووعدوها بالكثير إن أوقعته في الزنا، ثم أغلقوا عليه الباب بالمفتاح وهي معه في الغرفة تلاطفه وتغريه وتفتنه حتى وقع عليها فبات من ليلته تلك في أحضانها ليستيقظ في الدار الآخرة وهو نجس من الزنا، فيال حسرة صاحب السوء، ويالمهلكة التي يقود فيها صاحبه، ويالحماقة من يسلم نفسه لصاحب سوء. خاب والله وخسر.

9- ترك متعلقات الذنب ودواعيه:

فهذا الأمر من أخطر الأشياء التي قد تضيع التائب، فكم من تائب عاد للذنب بعد التوبة حتى مات عليه، لأنه لم يتخلص من متعلقات ذنبه، ومتعلقات الذنب هي كل ما يعينك على الذنب أو يذكرك به، كالتلفاز الذي هو مبدأ كل الشرور ومنتهاها، وبيئة السوء، وصور وأرقام هواتف وعناوين بريد إلكتروني... وغيرها، وكل إنسان أعرف بما يجره للشر، فقد يكون رقم هاتفك الذي تحمله هو مفتاح الشر في حياتك، وقد يكون عملك الذي تعمله، أو حتى عنوان منزلك الذي تسكنه، وأيا ما يكن ذلك الشيء فعليك أن تخرجه من حياتك.

ولا يكفيك لكي تنجو من شرور تلك الأشياء أن تتركها، وإنما عليك أن تستبدلها بما هو طيب وصالح، كاتخاذ أصحاب صالحين والانشغال بطلب العلم وارتياد المساجد وحلقات الذكر، واستماع الدروس النافعة، وقراءة الكتب القيمة.

وعلى من أراد أن يترك المعصية حقا أن يبغضها، فحبك للمعصية مع تركها قد يعيدك إليها مرة أخرى، وهذا البغض سينشأ من معرفتك بأثر تلك المعصية على قلبك وعلى صحيفتك وعلى آخرتك وعلى بعدك عن الله جل وعلا، فهذا يورث بغضها ولابد، فتأمل في تلك الآثار؛ ليزداد بعدك عن المعصية وتزداد بغضا لها.

واحذر أن تجاهر بمعصيتك، فالمجاهرة تجلب العقوبة وتجعل العافية بعيدة عنك، فعن أبي هريرة قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "كل أمتي معافى إلا المجاهرين، وإن من المجاهرة أن يعمل الرجل بالليل عملا ثم يصبح وقد ستره الله، فيقول يا فلان عملت البارحة كذا وكذا، وقد بات يستره ربه

ويصبح يكشف ستر الله عنه " صحيح البخاري، فالمجاهرة تهوّن المعصية على الناس، وتشجعهم عليها، كما تنزع من صاحب المجاهرة حياءه من معصيته، فتدفعه لاستمرائها والتلذذ بها أكثر، فيغرق في أوحالها ولا يخرج.

رسالة إلى تارك الصلاة

ياعبد الله يامن خلقك الله بيده وأسبغ عليك نعمه، ووهبك نعمة الحياة:

هل أنت لله عابد؟

فإن كنت عابدا لله، فالعابد لمن يعبد مطيع
فإن كنت تترك الصلاة منشغلا بمالك فأنت للمال عابد
وإن كنت تترك الصلاة منشغلا بالدنيا فأنت للدنيا عابد
وإن كنت تترك الصلاة منشغلا بمعصية فأنت لها عابد
وتعس عبد الدنيا، تعس عبد الدرهم والدينار

إن الصلاة ليست مجرد فريضة عادية
إنها العبادة الوحيدة الفارقة بين الكفر والإيمان
قال النبي صلى الله عليه وسلم :" من ترك الصلاة فقد كفر"، وقال صلى الله عليه وسلم: "بين الرجل وبين الكفر ترك الصلاة" رواه أحمد ومسلم، وفي الحديث الصحيح: "العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر" رواه أحمد

هل أنت مسلمٌ أم كافر؟

هل تعلم مصير تارك الصلاة بعد موته؟
إنه لا يُغسّل ولا يُكفّن ولا يُصلّى عليه، ولا حتى يُدفن في مقابر المسلمين بل في مقابر اليهود والنصارى.
هل تعلم أنه وهو محمول على الأعناق إلى قبره ينوح ويصرخ على روحه وماستلقاه من العذاب قائلاً: ياويلها ياويلها أين تذهبون بها؟!!!

هل تعلم أنه سيلقى الشجاع الأقرع في قبره، ذلك الثعبان الأسود الضخم الذي يتلقاه كما يتلقى الغريمُ غريمَه لينال جزاء ما فرّط في صلاته، ثم يُكمل المصير في جهنم حيث الحيات والعقارب، حيث السلاسل والأغلال، حيث الزقوم والضريع والماء الحميم.

ياله من مصير أسود
أن تخرج روحك وأنت تارك للصلاة
ياله من مصير أسود
أن تدخل القبر وأنت تارك للصلاة
ياله من مصير أسود
أن تلقى الله يوم القيامة وأنت تارك للصلاة
ياله من مصير أسود
وأنت تجرجر على وجهك إلى جهنم لأنك تركت الصلاة
ياله من مصير أسود

لماذا تُصر أن تلقى المصير الأسود؟!!!
أيها الضعيف
لودامت لغيرك لدامت لك، ولكننا في كل يوم نوصل ميتا إلى القبر وغدا سيحين الدور علينا ليوصلونا

أتركت الصلاة؟ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ولا تتركن صلاة متعمدا، فمن فعل ذلك فقد برئت منه ذمة الله وذمة رسوله" الحديث رواه الطبراني
أتركت الصلاة؟ وقد توعّد الله من يؤخر الصلاة عن وقتها بالويل،

قال تعالى: { فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ {4} الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ{5}} سورة الماعون.

هل تعلم ما هو الويل؟

إنه واد في جهنم مملوء بالعقارب والحيات، تتعوّذ النار من حره وشره، تعلم لمن هو؟

إنه ليس لمن ترك الصلاة، بل إنه للمصلين الذين يؤخرون الصلاة عن وقتها.

فكيف سيكون حالك يا تارك الصلاة؟!!!

يارب سلّم سلّم.

==========

أحب أن أخبرك خبرا

قريبا ستموت كما يموت كل من حولك

ربما بدون أي سبب

وربما فجأة وبدون أي استئذان

وربما وأنت لازلت شابا صغيرا، أووأنت تبني منزلك الجديد، أو وأنت تزوج ابنك أو بنتك، أو وأنت منشغل في تجارتك

ربما وأنت نائم في فراشك أو في حادث سيارة أو حريق أو غرق أو وأنت تتحدث في الهاتف مع امرأة، أو وأنت تشاهد الفساد في إحدى قنوات التلفاز، أو وأنت تعد المال الذي ألهاك عن ربك وأنساك.

ربما وربما، لكن الحقيقة الثابتة كطلوع الشمس كل يوم أنك ستموت حتما. وفي يوم مجهول. وقد يكون ذلك قريبا جدا.

وبعد أن تموت ستصير جسدا لا حراك فيه، سيأخذون منك كل ما

تملك حتى ملابسك التي على جلدك، لن يدعوا لك منها شيئا، ثم تُغسّل وتُلفُّ بقطعة من القماش الأبيض الرخيص الذي يشتروها لك ببضع جنيهات، هذه فقط ما ستأخذها من كل متاع الدنيا معك إلى القبر، وحتى هذه لن يبقيها لك القبر، وسيأكلها الدود كما سيأكل لحمك وجلدك، وستتحلل عظامك ولن يبقى من الجسد شيئا، ذلك الجسد الذي تزينه الآن بأفضل الملابس وأفضل الأحذية وأفضل العطور، ستسلمه للدود ليأكله هكذا بكل بساطة.

ستنتقل من فراشك اللين وطعامك الشهي وثيابك الفخمة، وأنسك بالناس... إلى ذلك القبر الموحش، لتنام على التراب، بين الديدان والحشرات ، في ذلك المكان الضيق المظلم، وحيدا فريدا، حيث لايوجد هناك إلا عملك.

فماذا بقي لك أنت؟

لم يبق إلا الروح، وما تحمله من عمل، هذه الروح التي تحرمها من الصلاة وتبعدها عن طاعة ربها، وقد صارت ضعيفة هزيلة، ستذهب بها للقبر لتنال الجزاء على ما قدّمت يداك.

لماذا تلهث في الدنيا؟ ومن أجل ماذا؟

ولماذا تعيش أصلا؟

فأما الجسد الذي أنت مشغول به فسيتخلى عنك بمجرد خروج الروح منه، فلن يقدر حتى أن يحملك.

وأما المال الذي عشت حياتك من أجل أن تجمعه، فلن تأخذ منه قرشا واحدا، وسيقسموه بينهم بعد أن يضعوك في القبر، وسيستمتع به غيرك وتشقى أنت به في قبرك، وتحاسب عليه.

وأما الناس الذين كنت منشغلا بهم، وتسعى في خدمتهم من أجل

أن يمتدحوك ويقولوا عنك رجلا عظيما، فأقصى ماسيفعلوه لك أن يوصلوك حتى قبرك ويضعوا التراب على وجهك، ثم يعودوا لبيوتهم وقد صرت ذكرى قلّ أن يتذكروها.

ولن يبقى معك في هذا المكان الموحش سوى العمل فقط

وأول ما يُحاسبُ عليه العبد صلاته

فأين صلاتك؟ وماذا ستفعل؟ وأين ستذهب أيها المسكين؟

==========

قم إلى صلاتك الآن

وابك على ما فاتك

وتب إلى ربك قبل ألا ينفعك الندم، فالموت يأتي فجأة

والتائب من الذنب كمن لا ذنب له

والتائب حبيب الرحمن

وباب التوبة لازال مفتوحا، فأدركه قبل أن يُغلق.

وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر" رواه ابن ماجه والترمذي

وقال صلى الله عليه وسلم: " إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل، حتى تطلع الشمس من مغربها" رواه مسلم

وقال صلى الله عليه وسلم: "مَن تاب قبل أن تطلع الشمسُ من مغربها، تابَ اللهُ عليه" رواه مسلم

الخاتمة

والآن، وفي الختام، فتلك الصفحات هي البداية لك، لتتعلم دينك، وتعمل به، وتدعو إليه، وتصبر على ذلك، كما جمعت ذلك سورة العصر: {وَالْعَصْرِ {1} إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ {2} إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ {3}}، وقد قال الرازي في تفسيرها: (فيها وعيد شديد، وذلك لأن الله حكم بالخسارة على جميع الناس، إلا من كان آتيا بهذه الأشياء الأربعة، وهي الإيمان، والعمل الصالح، والتواصي بالحق، والتواصي بالصبر).

فابدأ الآن، وجدِّد حياتك بطاعة الله.

واحذرك من الإعراض بعد العلم، فقد قال تعالى: { وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ {7} يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ } تعرف بم؟ { بِعَذَابٍ أَلِيمٍ {8} } سورة الجاثية

وقد جاء: "ويل للمصرين، الذين يصرون على ما فعلوا وهم يعلمون"

وقال تعالى: {وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ {22}} سورة السجدة

فإن كنت ترى في نفسك القوة على انتقام الله فأعرض ولا تتبع سبيل الرشاد، وسر مع الشيطان منقادا في طريقه الموحش المظلم إلى جهنم وبئس المصير، وأما إن كنت تعلم قدر ضعفك، وقدر حاجتك لربك، فتُب لرب رؤوف رحيم، يتودد إليك وهو الغني

عنك{وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِي وَلْيُؤْمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ {186}} سورة البقرة

ولايسعني في النهاية إلا أن أعترف بعظم تقصيري، فإن كان فيما كتبته من خير وصواب فمن الله وحده، وإن كان فيه من الخطأ فمني ومن الشيطان، والله ورسوله منه بريئان.

ثم أعترف بأني كتبت هذا الكتاب لعلي أكمل ديني معكم، ورُبَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورُبَّ حامل فقه ليس بفقيه، ولكني أدعو الله أن أنال به شرف الدال على الخير كفاعله، فأثاب على ماتفعلون من الخير معكم، ولا أدَّعي لنفسي أني أتممت العمل، ولكن أرجو من الله العون والقبول، فلعل هذا الكتاب أن يصير سببا لعتقي وإياكم من نار الجحيم التي لاتحتمل من حرها غمسة ولا أقل من ذلك.

أعاننا الله وإياكم على طاعته، وأخذ بنواصينا لمرضاته، وأسأل الله العلي العظيم أن يرزقنا وإياكم سعادة الدنيا والآخرة.

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا

إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ

يا عبد الله

ستفارق الروح جسدك شئت ذلك أم أبيته

وإما أن تسوء خاتمتك ويسود وجهك ولو كان جسدك أبيضا

أو تحسن خاتمتك

وينير وجهك

سيجردك أهلك من كل شيء
حتى ملابسك لن يدعوها لك

وسيلفوك في ذلك القماش الأبيض الرخيص

فهذا هو كل ما ستأخذه من دنياك الفانية

ثم يحملوك على الأعناق

لتفارق فراشك وبيتك وأهلك وكل ما اعتدت عليه

ستفارقه حتما

ستفارق هاتفك وسيارتك وتجارتك وأموالك وسيجارتك

وسيذهبوا بك للمسجد
لكنك اليوم لن تصلي
وإنما سيُصلّى عليك

ثم سيحملوك إلى هناك

إلى القبر

وحدك

مجردا من كل ما تملك

وهنا في قبرك
حيث تنتظرك أعمالك
في تلك الحفرة الضيقة

سينزلوك وحدك

ويغطوا وجهك بالتراب

وسيتركونك وينصرفوا

لن ينجيك أحد

ولن يحميك أحد

إنه فقط عملك بانتظارك في الداخل

أبشر يا تارك الصلاة

سيكون هذا بانتظارك

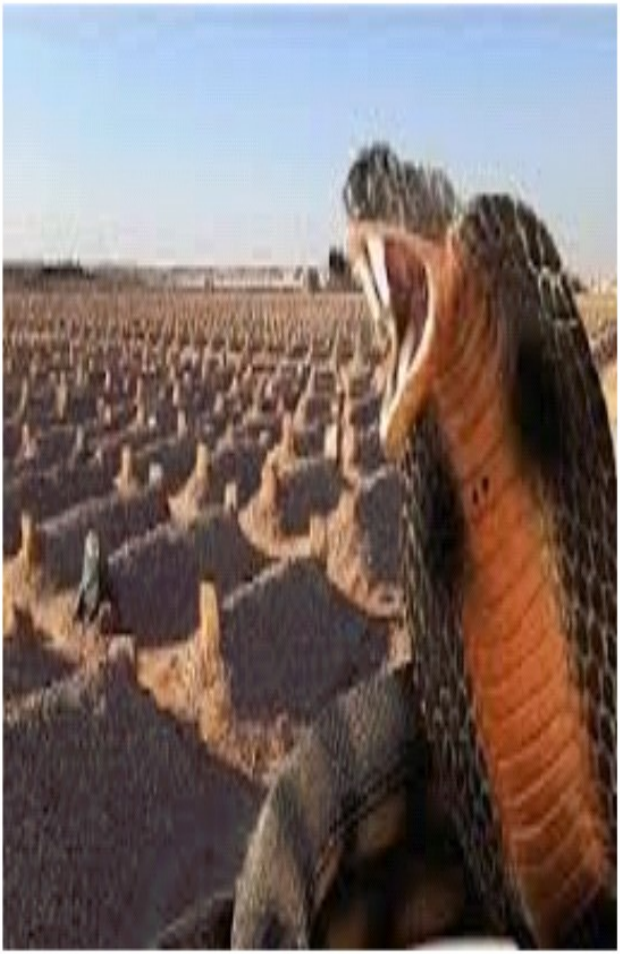

وسيشيب شعرك ويسود جلدك

ولو كنت شابا جميلا

من هول ماستراه

ولن ينقذك أحد

ادع الآن صاحبةَ الفيس، أو سيجارتَك، أو فيلمك أو أغنيتَك
أو صاحبك المقرب الذي كان يعصي الله معك
فلن ينقذك أحد
نادي على تجارتك وأموالك ومال أخيك الذي أكلته بالباطل
نادي على كنوزك التي كنزتها من المال الحرام
أنت الآن تدفع الثمن وحدك

أنت الآن تلاقي جزاء ما قدمته يداك
في حفرة من حفر النار

بينما يتنعم ساكن القبر الذي إلى جوارك

في روضةٌ من رياض الجنةٌ

بخوفه من ربه

وصلاتّه وصدقتّه وبره وصلتّه ودعوتّه

بكسبه الحلال

وبهجر الحرام في زمن صار فيه المطيع غريبا

الفهرس

1- المقدمة ..... صـ 3
2- حقيقة العبودية ..... صـ 5
3- جزاء الطائعين..... صـ 12
4- عقاب التاركين..... صـ 27
5- وقفة مع النفس..... صـ 54
6- التوبة طريق السعادة..... صـ 66
7- طريق التخلص من أي معصية..... صـ 80
8- رسالة إلى تارك الصلاة..... صـ 95
9- الخاتمة..... صـ 101